بداية

قلبي معكِ

My Heart is With You

الداعية إلى الله

د. عبلة الكحلاوي

عميد كلية الدراسات الإسلامية و العربية (سابقا)

بورسعيد - جامعة الأزهر

رسائل محبة إلى أحبابها
إلى كل أم وزوجة وفتاة
إلى كل صاحبة مشكلة

قلبي معكِ

الداعية إلى الله
الدكتورة

عبلة الكحلاوي

عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (سابقًا)
بورسعيد – جامعة الأزهر

اسم الكتاب : قلبي معك

اسم المؤلف : د. عبلة الكحلاوي

مقاس الكتاب : ١٤,٥ × ٢٠,٥

إشراف ورؤية فنية : محمود خليل

تحرير ومراجعة لغوية : مسعد خيري

تجهيز فني : أحمد علي

تصميم الغلاف : إسامة طه

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٣٦٣٤

الطبعة الأولى ٢٠١٠م /١٤٣١هـ

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة في مصر والعالم لشركة

بداية للإنتاج الإعلامي

أحمد خليل – محمود خليل

٧ ش عبد العزيز – العتبة – القاهرة – ج.م.ع

تليفاكس : ٠٠٢٠٢٢٣٩٥٩٤٠٨ – ٠٠٢/٠١١/٤٧٠٠٠٧٢ – ٠٠٢/٠١٠/٥٧٢٨٠٣٠

www.bedaia.com

Email: bedaiasound@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قلبي
معك

مقدمة

لقد دعا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منذ ميلاد بعثته إلى تحرير المرأة، واعتبارها شقيقةً للرجل في زمن كانت تُناقش فيه قضية خلْق المرأة..

قلبي مع المرأة في كل حال..

فقلبي معكِ أيتها الأم، يا من جعلك الخالقُ وعاء المشيئة المقدرة، يا من جعلك الله رمزًا للعطاء المتجدد الممتد في الكيان البشري..

وقلبي معكِ أيتها الزوجة.. فاستنفري طاقات الخير في زوجك، وأخلصي في إصلاح وتغيير أحواله..

إياكِ أن تتسرب أيام التكامل الأسري بدون انصهار وانسجام في بوتقة الأسرة الصغيرة..

وأخيرًا، اتقي الله في زوجك، إنْ شغله عنك همُّ الرزق الحلال، وأخلصي لله يعود لك طائعًا بإذن الله.

كما أن الإسلام قد أباح عمل المرأة، فلم يرِد نص من كتاب أو سنة يمنع المرأة من الخروج للعمل، بل أمر المرأةَ بالعمل الصالح الذي تصلح به دنياها وآخرتها.

لقد أصبحت مشاركة المرأة في البناء الحضاري فرضًا أكيدًا، إذ كيف لنا أن نُمكّن في الأرض وأقواتنا بيد غيرنا؟! خاصة والنظام الأحادي الجديد

يزحف علينا من كل حدب وصوب يبتغي محو وتذويب هويتنا وموروثاتنا العقدية.

وقلبي مع أولادنا.. تلك النعمة المهداة، والفرحة الموصولة بالنفس والفؤاد، والغراس الأصيل في القلوب الممتد إلى الغد.

الولد أمل الأبوة حيث يدور الآباء في حلبة الرزق ليخرج الابن من ديار الأهل حيث السكينة والأمان إلى تيه الغربة وجفوة الاغتراب.

إن الولد عطية الرحمن وهبة مقدّرة جاءت بقدرته وبقوله تعالى "كن" وإن توافرت الأسباب بيْدَ أن العطية منحة ليؤمن الجميع أن الأسباب لا تعمل بغير مراد الله تعالى.

وقلبي مع نساء أمتي، وكأن نساء الأمة الإسلامية كُتب عليهن أن يُروّعن بين الفينة والفينة، بل ويُقدمن قربانًا لعابث متربص بأمة محمد.. إلى متى يا أمتي؟!

د. عبلة الكحلاوي

تحريرًا في ١/ ١/ ٢٠١٠

* * *

رسالة إلى عزيزتي الأم

رسالة إلى عزيزتي الأم

عزيزتي الأم، يا من جعلك الخالق وعاء المشيئة المقدرة، يا من جعلك الله رمزًا للعطاء المتجدد الممتد في الكيان البشري..

فالأمومة نسيج فضي يحيط بالولد - وهو بعضها - كأهلة النور صفاءً ونقاءً واحتواءً وخوفًا.

وقد عبر عنها القرآن الكريم في أتم صورة تتجلى فيها لوعة الأم المحزونة عندما يمس الوليد مكروه..

يقول الحق: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص:١٠].

ومن هنا أصبح رعاية الولد قدرًا تلقائيًا فطريًا منذ كان رجفة في الأحشاء إلى أن تراه ثمرة تملك الفؤاد وتغمر الحضن الدافئ بالنشوة التي تفوق كل نشوة.

والمشرع الحكيم تولى بالضوابط الإيجابية توجيه هذه الفطرة، فلابد أن يأتي الوليد نتاج علاقة مشروعة، وأن يختار الوالد أمًا لا يُعير بها، وأن ينتقي له اسمًا يبعث على التفاؤل والمحبة، وأن يعقّ عنه، وأن يحسن استقباله.

ومن الفقهاء من أفرد الأبواب العديدة في توضيح حق الولد وهو يعد ستيرًا في غياهب الأرحام، فأمر بزيادة نفقة الحامل، وعدم تكليفها بالمشقة التي قد تصيبه بمكروه..

بل لو أن المرأة الحامل اشتمت رائحة طعام عند جارتها ولم تطلب منه وأسلبت نتيجة لذلك ولو من بعيد فإن الأم تحاسب وعليها دية..

هذا ولم يقم الشرع حدًا على من اقترفت ما يوجبه لحق صغيرها، ويأبى الأبناء، أبناء الرحم الواحدة فإذا بكم من الوصايا منها ما يحذر من حرمان الأم من أبنائها، وأخرى تأمر بالمساواة بينهما لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن أبي أيوب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"من فرّق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة"** (رواه الترمذي)..

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع: **"سَوُّوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ مُؤْثِرًا أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ لآثَرْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ"** (رواه البيهقي).

وبالطبع هما سواء في الحضانة والرعاية والولاية عليهما والإنفاق.

بيد أن هناك فروقًا فردية بين أبناء الرحم الواحدة، فمنهم العنيد الذي تميل طبيعته إلى العنف، ومنهم الهين اللين السلس الذي يتقبل النصح، ومنهم الذي يشكل عبءًا في استيعابه للمواد الدراسية بينما الآخر لا يُبذل معه أدنى جهد، ومنهم المطيع الحاني ومنهم شديد البأس الذي ربما يحيل الحياة الأسرية إلى جحيم، ولم تصلحه الوسائل التربوية التي رسمها علماء التربية الإسلامية والتي تبدأ بالتربية بالقدوة ثم بالموعظة ثم بالتلقين والتعويد ثم بالملاحظة ثم بالعقوبة التي يراعى فيها طبيعة الطفل المخطئ، ويراعى فيها التدرج من الأخف إلى الأشد.

لكن للأسف قد يقع الآباء في دائرة التفرقة بين الأبناء واختيار التفاهم مع الولد الأكثر سلاسة، ونبذ الآخر ربما لظروف الحياة ولإيقاعها السريع، وربما لعدم القدرة على مواصلة برنامج الإصلاح لتغير الأحوال من فقد والد أو تغير الأحوال الاقتصادية والاجتماعية من يسار إلى إعسار ومن صحة إلى مرض.

لكن الأبناء لا يرون مثالبهم، فعندما تتراءى لهم بادرة التفرقة كان ذلك مبتدأ أول شرخ يشرع في الجدار النفسي التي تبدأ بالانزواء، وقد تصل إلى العدوانية وربما الجريمة، وهناك أخطاء أخرى تقع فيها الأسرة التي تحولت إلى ماكينة منتجة للمادة وقد شغلها سعار الكسب والاكتناز تحت رقم بنكي أصبح حمى البيوت التي يفترض أنها آمنة..

فالخلاف والشقاق حول المنفق والمشارك، وغياب الآباء على حلبة الكسب وهم من أعظم وأقوى وأهم الوسائط التربوية جعلهم نماذج هلامية لا ترقى إلى مستوى القدوة.

وبالطبع تأثر أبناء الفراغ والوفرة بمعطيات التقنية الصاخبة واحتل الكمبيوتر مكان الأب والأم فتبادل معهم الحوار، ففتح لهم نافذة على العالم فأصيبوا بثورة تطلعات وربما بصدمة حضارية وأقلها الوقوع في دائرة نفي الذات ونفي الواقع ونفي الثوابت.

والآباء لا همّ لهم إلا المزيد من جمع ما سيترك، قال ابن مسعود – رضي الله عنه: "الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له".

وأصبح الأبناء يجيدون حوارًا أحاديًا فقد اختزلت العلاقة السرية إلى نمط مقتضب من العبارات ذات المضامين النفعية.

خاصة والمؤسسة التربوية المساعدة ترخي هذه المشاعر فالآباء يستبقون نحو المدرسة والجامعة الأمريكية وكأنهم بذلك أدوا ما عليهم.

إننا نحتاج إلى وقفة مع الذات لنعرف أين نحن، ولنجد في الكبر ولدًا حانيًا يفقه أبجديات البر ومقصود الإحسان وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء:٢٣].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه فيقول: باستغفار ولدك لك"** (رواه أحمد).

عزيزتي الأم.. ترى أين هذا الولد الصالح الذي بدعوته نرتقي في الجنة والذي لا ينقطع عملنا به في الدنيا؟

وهل عرف في خضم هذا الانشغال كيف يكون ولدًا صالحًا يرفع لواء الصلاح والإصلاح، ويعلي منهج الله؟

هل بعد كل هذا العناء والمشقة في التربية والحضانة والرعاية تشعرين بالرضا عن نفسك عندما يقدم كشف الحساب في يوم لا يوم بعده.

* * *

من واقع الحياة

مشكلة

جاءتني رسالة مؤلمة وفيها: أمي الحبيبة، أود أن أستمع لكلماتك كي أعبر محنتي، فأنا سيدة على قدر كبير من الجمال والحمد لله، متزوجة ولي خمسة أبناء، أقوم بخدمتهم ورعايتهم على خير وجه، وفجأة أصابني داء السكري الذي ترك أثره على مقلتي، ففقدت بصر إحداهما والثانية في الطريق.

أما من دعاء يا أمي، أما من كلمة لزوجي وأطفالي، إنني أخاف أن أقصر في واجبي نحوهم.

وأقول: حبيبتي، شفاك الله وعفاك وحفظ لك نور قلبك وجمال روحك ونفسك، تلك التي تأبى إلا أن تُسعد من حولها.

وأذكّرك يا حبيبتي بالحديث القدسي.. **"إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له بهما ثوابًا دون الجنة إذا حمدني عليهما"** (صحيح الجامع)

فيا بنيتي.. لا تقنطي من رحمة الله، وعليك بالأخذ بالأسباب، فما جعل الله من داء إلا وله دواء.. ومرض السكري يا بنيتي يحتاج إلى مصادقة، وكم من حالات شفيت تمامًا من خلال نظام غذائي خاص، بل وهناك أعشاب طبيعية تجرى عليها تجارب الآن أعطت نتائج مذهلة.

وما عليك يا حبيبتي إلا إعادة تقييم أمورك بهدوء وبحسب ظروفك الصحية.

واعلمي أن الصبر هو الطريق إلى الجنة لمن احتسب..

وتذكري دومًا قول الحق: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة].

وعلى زوجك وأولادك أن يقدروا ظروفك، ويتحملوا المسئولية معك، وإياكِ يا حبيبتي أن تركني إلى الحزن واليأس.

استعيدي ابتسامتك واجعلي نور قلبك وصفاء روحك ورضاك بقدر الله شمسك التي لا تغيب.

مشكلة

وأخرى تقول: رغم أن زوجي تاجر ميسور الحال، إلا أنه جاحد بأبويه.

وأقول: صديقتي سعدتُ برسالتك التي أرى فيها عبق الخوف من جلال الله عند ترك مأموراته وفعل محظوراته.

والحق أنني رأيت مشكلة زوجك من عدة وجوه:

الوجه الأول.. إن زوجك قد نشأ في أسرة لا ترعى منهج الله الذي أمر بالمساواة بين الأبناء، والمساواة لا تقتصر على العطايا وحدها وإنما في المعاملة وفي منح الفرص المتكافئة إلى غير ذلك، وأعنف ابتلاء استشعار الأبناء بظلم الآباء والتفرقة في المعاملة بين أبناء الرحم وخاصة أن كانوا

جميعًا على درجة واحده من السواء النفسي، ولا يوجد من بينهم من شذ خلقًا ودينًا ليستحق معاملة خاصة من قبيل العقوبة.

وكثيرًا ما رأينا أن معايير السواء النفسي تختل اختلالاً واضحًا تصل أحيانًا إلى درجة الانحراف والجريمة عند أولئك الذين عاشوا طفولة غير سوية. وهنا أوجه قولي للآباء بأن يتقوا الله في نعمة الولد وذلك برعايته نفسيًا والحرص على اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالحياة قصاص، وكما تدين تدان، فجحود الآباء يتبعه عقوق الأبناء.

الأمر الثاني.. إن الله قد فتح عليه أبواب الرزق من أشرف الأبواب، ولعظيم مكرمة التاجر الأمين فقد كثر ذكره في الحديث الشريف باعتبار أن التجارة من أفضل الأعمال كما في قوله صلى الله عليه وسلم «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**» (رواه الترمذي وحسنه).

فالعبرة يا عزيزتي ليست بنوعية العمل والتخصص وإنما بالإخلاص فيه ومراعاة حق الله واتباع منهج الله، وكم من طبيب ومهندس يشعر بينه وبين نفسه بضآلته وعجزه وإن وقره الناس وعظموه.

وكما يقول الخاصة قيمة المرء فيما يطلبه لا ما يقوله العامة من أن قيمة المرء فيما يحسنه.

وأصحاب الهمم العليا لم يكونوا أطباء فحسب أو مهندسين فحسب وإنما كل من وافق بعلمه وعمله مرادات الله.

لقد أحسن الله به بما فتح عليه فما عليه إلا أن يرضى ويقنع بما أعطاه الله.

فالغافل من يصبح ينظر ماذا سيفعل بأدوات الدنيا والعاقل من يصبح ينظر ماذا سيفعل الله به بعد أخذ الأسباب فالتسليم المطلق أمر لازم لكل عاقل.

ثالثًا: إننا نعيش ضمن المشيئة من منطلق قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة] فلا نملك إلا أن نقول مادمت كتبت علينا هذا فأعنا عليه.

أما كونه يرد الاساءة لهما ولا يبرهما عقابًا لهما.. فأقول لزوجك الكريم: لقد أخفقت مرات وجانبك الصواب مرات، أخفقت لأنك لم تعِ الأمر العلوي بالإحسان والبر الذي يتعين حال الكبر ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

جانبك الصواب أيضًا عندما نظرت إليهما نظرة العدو اللدود والمعركة الشريفة تتطلب الندية وهما الآن فضلًا عن كونهما أصولك التي أمرت بمصاحبتهما بالمعروف حتى في حال كفرهما ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] فهما في مرحلة ذبول وضعف ووهن، في مرحلة احتياج لك، هما يختلفان بالكلية عما ألفتهما في أمسك الذي ولّى. فهل من المروءة قتال أعزل! وكان الأحرى بك أن تتقي الله فيهما.

مشكلة

ومن عجيب ما وصلني تلك الرسالة.. سيدتي، قضيتي ربما تحتاج إلى قدر من التفاهم لأنها شائكة، إذ أحببت الرجل

الوحيد الذي اختارته أمي لنفسها بعد إلحاح من جدي وخالتي لكي توافق على الزواج، فقد كنت أعيش معها وربما نحتاج إلى ما نكمل به الشهر، إذ إن المعاش كان يكفي بالكاد أيامًا قليلة.

وما أن تقدم هذا الشخص وكان ميسور الحال حتى وجدتني أتعلق به كأمي تمامًا، وما أن تم عقد القران حتى جن جنوني، وأصبت بحالة نفسية وتركت أمي كل شيء وصاحبتني إلى المستشفى وكان هو يداوم على زيارتي ويظهر اهتمامه بي.

وفي إحدى نوبات صراخي أفصحت له بتعلقي به وسمعت أمي ذلك، وبعد أيام من الصمت بيننا طلبت أمي الطلاق.

وبعد عامين وبناء على إلحاحي وافق أن يتزوجني فهل أصارح أمي بذلك؟ وهي تدّعي أنها نسيته؟ وهل يجوز شرعًا أن يتزوجني وهو من عقد على أمي قبلاً؟

أفيدوني علمًا بأنني أعيش الآن مع جدي.

أقول للسائلة: كنت أتصور أنك نادمة على جرحك لأمك مرات واستلابك لحقها في الحياة، وكانت هذه الزيجة تعتبر فرصتها الأخيرة، ولكن يبدو أنهم أسرفوا في تدليلك فلم تدركي مقومات الإنسانية بغض النظر عن خصوصية البر التي يجب أن تحكم العلاقة بينك وبين أمك، لكنك تصرفت بأنانية حتى وأنت في تمردك هذا لم تجدي سوى قلب حانٍ هو أمك..

نصيحتي لك بأن تتصرفي بعقلانية وبضمير، وابتعدي فورًا عن هذا الرجل.

رسالة إلى المرأة العاملة

رسالة إلى المرأة العاملة

أباح الإسلام عمل المرأة، فلم يرد نص من كتاب أو سنة يمنع المرأة من الخروج للعمل.. بل نقرأ في آيات تتلى عن بنتي شعيب وخروجهما للعمل وقوة فراستهما.

وكم قدّم لنا القرآن الكريم نماذج عديدة للمرأة صاحبة المهام العظام، كما في قصة هاجر زوج إبراهيم أول من التحقت بوظيفة سادنة الكعبة، ورئيس مجلس إدارة ماء زمزم فعقدت أول ميثاق جوار مع قبيلة جرهم، ثم تعرفنا على المرأة التي تحسن القيام بمهمة الولاية العامة فتشاور وتعاهد وتراوغ وتختبر كملكة سبأ.

بل أمر المرأة بالعمل الصالح الذي تصلح به دنياها وآخرتها.

يقول الحق: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء].

كما يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل] .

لقد أصبحت مشاركة المرأة في البناء الحضاري فرض أكيد

إذ كيف لنا أن نُمكن في الأرض وأقواتنا بيد غيرنا، فما بسقت أغصان ذل الأعلى بذور احتياج.. خاصة والنظام الأحادي الجديد يزحف علينا من كل حدب وصوب يبتغي محو وتذويب هويتنا وموروثاتنا العقدية.

ولعل أهم ما نواجه به معطيات القرن الجديد التمايز الكمي والكيفي للثروة البشرية التي لديها القدرة الفاعلة على العمل وإحسان العمل لأن الإسلام يأمر بالترقي ويرفض الحياة الهامشية والطفيلية، وسنسأل لماذا تقاعسنا وتقدم غيرنا..

فما استقامت أمة سلاحها ودواؤها وطعامها وفكرها معد على الطريقة الأمريكية أو الأوروبية..

وهذه المشاركة المطلوبة لا تعني التقليل من شأن الدور الحقيقي في إعداد الأجيال فالأنسب على وجه العموم لا يعني التحريم، وكم نجحت المرأة الحكيمة في التوفيق بين الممكن والمستحيل..

أما إن كان ذلك على حساب صغار يتضررون بتركهم، أو كبار يتيهون بغيابها فنقول لنشئة إنسان صالح أعظم من صناعة قاطرة وطائرة، فالضرورات تقدر بقدرها.

بقي أن تتخلق المسلمة بخلق الإسلام في غدوها ورواحها فتضع الخالق العظيم نصب عينيها فإن خرجت للعمل التزمت بالضوابط الشرعية التي تبدأ بعدم التبرج فالمسلمة الواعية لا ترى الحرية في تكشف الجسد وإنما الحرية في القوامة على النفس باختيار المنهج الارتقائي وفي إدراك قيمة التبصر الواعي بما لها أو عليها.

ثانيًا: تلتزم بعدم الخلوة وغض البصر.

ثالثًا: تدرك قيمة الخُلق في الإسلام فتعامل الزملاء في حدود الزمالة التي لا تخرج عن الآداب السامية والحياء وحب الخير والتواضع.. فما صحت عبادة في قلب صاحبها مثقال ذرة من كبر.

رابعًا: تخلص في أداء بل وإتقان العمل الذي خرجت من أجله فتحرر النية دومًا أنها لا تبغي إلا رضوان الله فهي تعمل بين مقامي المراقبة والمشاهدة.. ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥] فتحسن العمل.

خلاصة القول.. إن المسلمة الفاعلة العاملة لها أجرها على قدر ما حققت من إنجازات، ولها أجرها على قدر تخلقها بخلق القرآن، فإذا أرادت أن تقف في مصاف عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا عليها ألا تذكر أحدًا إلا بخير ولا تجادل إلا بالحسنى ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] ولا تنظر لأحد بعين حاسدة لأنها تعترض على حكم الله مقسم الأرزاق، وكفانا أن نعلم أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ولتضع حديث رسول الله المرفوع نصب عينيها.. عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَقْبَلَ رَجُلٌ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"بِئْسَ أَخو الْعَشِيرَةِ ، فَلَمَّا جَاءَ وَجَلَسَ كَلَّمَهُ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَلَسْتَ قُلْتَ مَا قُلْتَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ!

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مِنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ".

وأيضًا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ".

وعليها أن تقنع بعطاء الله فتدخر ما يزيد عن حاجتها للحديث الشريف: "رحم الله امرأً اكتسب طيبًا وأنفق قصدًا وقدّم فضلاً ليوم فقره وحاجته".

وأن تدرك أن كثرة الإعراض تجلب الهم للأبناء وإننا سنرحل عما جمعناه ونترك ما ألفناه..

لهذا يرشدنا الكريم إلى الترشيد وعدم التوسع حتى في فراش البيت.. قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان" (أخرجه مسلم).

ولنتذكر قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء] ، أي ليس فيه سوى الله بعدما أدى ما عليه.

* * *

من واقع الحياة

وللأسف أحيانًا ما تُحرم المرأة العاملة من ثمرة كفاحها...

لقد جاءتني سائلة تقول: أحببت زوجي حبًا كبيرًا، كنا نُحسد عليه من الغريب والقريب، واستطعت بهذه المشاعر الطيبة أن أقف بجواره في أحلك الظروف، أدبر شئون البيت وأوفر نفقة الدروس الخصوصية للأولاد، وأحيك لهم ملابسهم حتى ملابسه هو.

وعندما تقاعد لم أطالبه بأي شيء بل كنت أشتغل في المنزل وأبيع ما أنتجه من ملابس حتى وفرت له مبلغًا محترمًا استغله في مشروع تجاري، وتحولت ظروفنا تحولًا كبيرًا، وكدت أن أحصد غراس صبري، وإذا بالمكافأة عقد زواج عرفي في حقيبته الخاصة بالشغالة الأجنبية، أكاد أجن.. دبريني ماذا أفعل؟

وأقول لها يا حبيبتي أنا أشعر بمعاناتك التي ضاعفها عدم تقديرك لطبيعة هذه الحياة، فنحن لم نمكن في الحياة ولم نهبط إلى الدنيا لنأكل ونشرب ونتناسل فحسب، بل لأمر عظيم أبت السماوات والأرض والجبال أن تحمله. إنه الامتحان الدائم والاختيار في حقيقة فهمنا لعبودية الله، التي تقتضي مراجعة النفس دومًا والتسليم لله والرضا بأمره..

لقد أحببت الزوج وأخلصت في محبته، ولكنك لم تفكري في أنه بشر له قلب قَلوب يريد الزوجة الوفية الطيبة الصالحة، ويريد الأنثى التي تشعره بقدره الشخصي جدًا، وتهتم به وترعاه.

أنا موقنة أنه يحبك حبًا عظيمًا وأن ما حدث ليس إلا وليد انشغالك عنه، وإلا كيف يبرر عدم تواجدك في بيتك واختلائه بالشغالة، التي تعاملت بذكاء شيطاني. أعيدي الورقة مكانها، وانظري إلى المرآة واستعيدي المرأة التي أحبها، ملابسها، زينتها، طريقة كلامها، رائحتها.

استرجعي ثقتك بنفسك، وحاولي الاستغناء فورًا عن الشغالة... واجتمعا معًا على منهج الله ومحبة الله.

وقد يؤدي العمل بالمرأة العاملة إلى فعل أفعال لا تصح شرعًا.. ومن ذلك تلك الرسالة: أنا سيدة متزوجة من رجل غيور جدًا فما حكم الشرع في إخفاء بعض المواقف والعلاقات البريئة التي أضطر لها بحكم عملي مع زملائي حرصًا على شعور زوجي؟

أقول: يا سيدتي ما تقولينه يدعو إلى التوقف والنظر فالمواقف والعلاقات البريئة في تصورك ربما تؤلم زوجك وتغضب خالقك، وخاصة أنك لم توضحي صورة هذه العلاقات «الاضطرارية».

يا أختي في الله.. تذكري أنك راعية أمينة حافظة لميثاق غليظ ربط بينكما كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء].

تذكري أن الخروج للعمل ومخالطة الرجال تباح بضوابط شرعية أهمها غض البصر، وعدم الخلوة، والالتزام بالحجاب الشرعي.

تذكري أن المرأة المتزوجة لابد أن تلتزم بجملة من الآداب الإسلامية منها التحفظ في الحديث فلا تبسط ولا تبادل للشكوى ولا مجالسة ولا تفرد بأحدهم يضعك في موضع الشبهة فينال من سيرتك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة، ويتربص بك الذين في قلوبهم مرض.

أما إن كان الأمر يقتصر على «ضرورة العمل» وتقدير الأمر لضميرك الذي أراه يقظًا - فليس عليك شيء، وأذكرك في خاتمة قولي بقول الحق: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة].

* * *

بنيتي.. بكِ ربحت الجائزة

بنيتي.. بكِ ربحت الجائزة

بنيتي، أملي الموصول بغدي، بعض الـذي أراه كـأحلى مـا أرجـو، مـا أسعدني بك وأنت أمامي صفحة من الطهـر سُـطرت بـأحرف مـن النـور المعطر، وأنت أمامي كالنهر الرقراق يفيض عذوبة وحنانًا عـلى مـن حولـه فأرى فيك أمي وبنيتي وأختي وعمري..

نعم أراك تنسجين بأنامـل مـن ذهـب خيوطًـا حريريـة مـوفرة القـوة والثبات..

وكيف لا أهدهد خطوك، بل وأقبّـل ظلـك في حشا الثـوب والقلـب والروح والدار..

ما أسعدني بك وأنت تنتقين ثوب التقى بمحض اختيـارك، وتنـاجين ربك بالدعاء وكأنك صدّيقة عابدة بألف ألف عمري.

لقد اطمأن قلبي، الآن عرفت أنك نعمة ربي، الدعوة الصالحة الممتـدة التي بها أرقى مدارج الجنة، ومعك أحظى بظل العرش فأنـت مـن الـسبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ويتجدد السؤال والإجابة، لماذا تخلت الصغيرة عما يشغل لِداتها وهـي زهرة ندية في باقة الزهور؟

قلت لأنني أخلصت سويعاتي لربي، وأعددت فلذاتي على ذكره، والنظر إليه، وتدبر آياته، وحققت آيات ربي قولًا وعملًا فكنت وزوجي صورة نابضة للسكن والمودة والرحمة والعشرة الطيبة.

ولأنها سمعت ووعت وفهمت وتعلّمت فتخلت عن مطالب نفس أمارة وتحلت بجوهر النفس المطمئنة فأشرقت روحها وأدركت من خلال هبات صفائية سر الحياة..

فالأيام وإن امتدت على قضبان العمر فلابد من يوم يتوقف فيه المسير، وفهمت أن ابن آدم أيام معدودة إذا مضى يومه مضى بعضه، وأن السعادة الحاقة في رضوان الله فعملت للباقيات الصالحات.

لهذا فهي نعم الزوجة الصالحة ونعم البنت البارة ونعم المربية ونعم المرأة العاملة ذات الدور الفاعل في مجتمعها.

وفوجئت بزهرات في عمر الربيع يصوبن النظر إلى ابنتي وهي تبتسم راضية فسألنها: هل نرفض الحضارة ووسائل العصر برمتها كي نصل إلى هذه السكينة التي تبدو على وجهك الجميل؟

قالت في هدوء: كيف أرفض الحضارة والمدنية وقد حباني الله بعقل قادر على الانتقاء، ومطالب بالتطور والتفكر والتأمل، ولكن علينا أن نسمي الأشياء بأسمائها فما ترونه من وافدات ليست إلا عوامل مساعدة لتقليل الجهد البدني فهي وجه واحد من أوجه الحضارة، أما الحضارة الحاقة فهي التي تعنى بالجانب النفسي والجانب الظاهري المشاهد.

أما وسائل العصر فهي لازمة غير ملزمة وخاصة لو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر وسائل الإعلام على تنوعها.

لو وجدنا أن نموذجًا واحدًا منها وهو الإعلام المرئي الذي تتصارع أقماره عبر السماوات المفتوحة تعدى في كثير من الأحايين دوره التثقيفي والإعلامي (إلا فيما ندر)، وأصبح لا همّ له سوى تكريس النظام العالمي الأحادي وثقافته الكونية الأمية، فقدمت المادة الدرامية والإخبارية التي تهيئ الشعوب لتقبل الثقافة المنبثقة عن النظام العالمي الجديد فعمدت إلى تفريغ الشعوب من فحواها وتهميشها وعزلها عن موروثاتها التاريخية والعقدية، ليصبح الإنسان كمًا ماديًا لا شفافية فيه ولا قداسة ولا يحلم إلا بالفردوس الأرضي الآني الذي يوفر أسباب المتعة والرغبة، وأصبح شغلها الشاغل تصدير الإباحية والشذوذ واستنفار الرغبات.

قالت إحداهن، وهي تعيد تحديد خطوط الشفاه: لكن المرأة استعادت حقوقها وحريتها وهذا الذي لم يكن لنعرفه لولا وسائل الإعلام والاتصال التي جعلت العالم قرية واحدة. قالت بنيتي بصوتها الرخيم: يا عزيزتي، التكريم الحقيقي للمرأة عرفته المرأة المسلمة المحررة منذ أربعة عشر قرنًا فقد كُرمت أمًا وبنتًا وزوجة وأختًا.

ثم أي حق استعادته وأي حرية تحياها وهي كعروس الخيوط تحركها أصابع صانع الموضة والحذاء، لقد أصبحت المرأة مجالًا رائجًا للتربح فهي نجمة الإعلان عن كل شيء من العطور إلى الخدور إلى الأرصفة، ولا غضاضة أن تُعين لشيوع فاحشة ولو في مخدع رئيس دولة النظام الأحادي لتباع ملايين المذكرات والمجلات وأقراص الليزر.

أين التكريم وهي المبرر الوحيد لإنتاج الثوب المنحسر واللاصق شريطة مقاييس جمالية للخصر والأرداف ولأجلها ولأجل غصن البان وجد منتج دوائي وآخر غذائي وثالث رياضي ورابع حزام ثم هندام وسروال كهربائي.

ولا مانع من إعلان عن مبيد حشري ترقص على ضحاياه امرأة..

لقد تشيأت المرأة وسعى لتبضعها وتشييئها دعاة التمدين الذين يرون الحرية في التكثيف وشيوع الرغبات.

قالت الأخرى: وماذا عن المسلسلات الخلابة التي تُقدم وننتظرها بفارغ الصبر؟

قالت صغيرتي الشابة: بل هي أيضًا رائعة الإخراج والتصوير والإضاءة، لكنها ذات مضامين خبيثة تدس السم في العسل.

فمنها ما يروج لنماذج مجتمعية تخالف ما تعارف لدينا من عقائد وتقاليد بل وتهون من شأن معتقداتنا، فالإجهاض حرية شخصية والأسرة مجال قهر، والحياة الزوجية تسلط ذكوري، والأمومة نزف لطاقة المرأة دون مقابل وزواج المحارم مباح، والنتيجة الحتمية لهذا الإبهار ثورة تطلعات ثم إحباط نتيجة للاصطدام بالواقع ثم صدمة نفسية ثم مخدرات للهروب من الواقع.

وربما نتيجة للتكرار التراكمي المتنوع للمضمون المدروس جيدًا يتم إحلال هذه الأفكار وتقتلع الموروثات ويخرج الإنسان من دائرة الوعي إلى

اللاوعي فنجد هذه الصور الشاذة والمنفّرة لأصحاب الطباع السليمة فهذه حلاقة العبثية وأخرى تتبع خيوط الموضة بداية من تثبيت الريش والخرز وليس نهاية بارتداء (الفيزون المصبوغ والشعر الغجري المنفوش الملطخ ببقع الألوان).

قالت ثالثة: هل نغلق التلفاز إذن لنرتاح من هذه الوافدات؟

قالت بنيتي: ليس من العقل أن أستغني عن الكهرباء خشية الصعق بها أو عدم استخدام أنابيب الغاز خوفًا من انفجارها أو أن نترك السفر بالطائرة والقطار والسيارة خشية الحوادث..

والأولى انتقاء ما يشاهَد وإقصاء غيره، أيضًا تشجيع القنوات المحلية وتطوير الفضائيات العربية ووضع البرامج الهادفة التي لا تخلو من عناصر التشويق والجمال، ولا مانع من الاستعانة بأهل الخبرة، ولا ننسى أن هناك هيئات تسعى للعودة للبعد القيمي بعدما عانت كثيرًا من ويلات الإباحية والانحلال.

قالت أخرى: كيف يمكننا أن نواجه تحديات العصر والمحاولات المستميتة للغربنة وإحلال الفكر المغاير؟

قالت بنيتي: المواجهة الحقيقية لن تكون إلا بالوعي الكامل بما يدور على الساحة، بالعلم والعمل، بالخروج من الأنانية المضيعة، والدماغ الفارغة إلى أخرى واعية، بالعمل الإبداعي، بالاكتفاء الذاتي، بالاستغناء عن درجات الإشباع الترفي في كل شيء، بالحفاظ على الهُوية الإيمانية

والذاتية المسلمة المخلصة بالحفاظ على رداء الحرية والكرامة والطمأنينة، حجاب المسلمة التي تعلن في كل حين سحقًا لك يا من تريد أن تغتال جنتي..

صفقت لابنتي وضممتها إلى صدري، وقلت أخيرًا ربحت الجائزة.

* * *

من واقع الحياة

مشكلة للأسف وصلتني رسالة أوجعت قلبي وفيها: سيدتي لدينا سائق غير ناطق بالعربية، لاحظت منه تصرفات مريبة مع أختي الصغيرة وللأسف عندما واجهتها بذلك أنكرت حتى شاهدته يقبلها إثر عودتها من عرس، ورأيت نفس الوضع مع الخادمة.. إنني أصر على تعلم قيادة السيارة ووالدي يمانع علمًا بأن السائق يقوم بتوصيل الجميع منفردين ومجتمعين.

إنني في حيرة ماذا أفعل خاصة وأن والدي عصبي جدًا وعنيف؟

وأرى أن تخبري والدتك فورًا وبهدوء يُعالج الأمر مع الوالد، المهم أن يطرد هذا السائق فورًا، فمثلًا نعلمه أن سلوكه غير سوي مع الشغالة أو نقول لاحظنا عدم التزامه بحرمة البيت وآدابه، المهم أن يُطرد فورًا وعليك بتهديده بإبلاغ والدك بالحقيقة.

وبالطبع أختك تحتاج إلى حزم لتقويم سلوكها، فالمهانة جسيمة لمن تفرط في نفسها، وعليك يا بنيتي معالجتها لتستعلي على رغباتها.

* * *

بنيتي.. تمهلي

بنيتي.. تمهلي

عندما تفقد المرأة في كنف الشريك كل دواعي الإقبال على الحياة هنا يتسرب الوهن إلى نسيج المحبة. ويتحول (الدانتيل) الرقيق في ثوب الزوجية إلى ثقوب تتكشف منها العورات، فتجهض علقة القبول من رحم المحبة..

وهنا لا نجد إلا امرأة هدمت في صباها، وغلقت مصابيح الشباب والنضارة في مقلتيها، وتسللت الأنواء تعبث في كيانها فتتساوى الأشياء في ناظريها. فالكراهية وجه قبيح بألف قناع.

وقد يصل النفور إلى حد يستحيل عنده التغاضي هنا يصبح الطلاق علاجًا شافيًا.

لكن الزوج المتجبر قد يراوغ كعادته فيمسكها ضرارًا أو يطلقها ويراجعها وقد يدعي باطلاً أنه يحتكم إلى الشريعة.

وسأعرض في عجالة منهج الشريعة المحكمة في معالجة أنواء الأسرة لنرى بعين اليقين أحكامًا عادلة ترعى الأسرة وتحفظ لبناتها، ولا تغفل المشاعر النفسية والروحية، وتبدأ بأمر المعاشرة بالمعروف تحت مظلة الرحمة والمودة والأنس والسكن مصداقًا لقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١] .

سكن نفسي وقلبي وجسماني.

ومن هذه الركيزة يتواصل العطاء بينهما ويتجدد الدم النقي في عروق الليالي، وقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فنجد نشوزًا أو إعراضًا من أحدهما أو منهما معًا.

ترى هل تترك المتضررة في دائرة النسيان وتيه الصمت والتصبر من أجل ولد جاء على حلبة الكراهية فجاء راكدًا باردًا.

أو من أجل الحفاظ على الكيان الاجتماعي، واسم العائلة التي ربما أكلها داء التحنيط فصارت كالعهن المنفوش.

إن هذه الصامتة الكارهة ستحاسب على هذه السلبية وهذا التواكل الذي يحيل حياتهما معًا إلى جحيم.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا: رجل أمّ قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متخاصمان"** (رواه ابن ماجه).

فالشريعة المحكمة لم تترك امرأة مهيضة الجناح مقهورة السلطة، مسلوبة الإرادة، مرتعًا لنزعات الشيطان، تعيش مهينة مجبرة كارهة مكرهة في سجن الزوجية..

سجانها زوج مجبر متسلط لا يتقي الله ولا يفقه شريعته، فكان التشريع العادل بمنحها الحق في الخلع فالطلاق بيد الزوج والخلع لها.

ويعني الخلع فراق الزوجة زوجها بعوض يأخذه منها أو من غيرها، ويتم بأربعة ألفاظ هي الخلع، والمباراة، والصلح، والمفاداة، ودليله من القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[البقرة:٢٢٩].

وقوله كذلك: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨].

ومن الحديث الشريف ما ذكره البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا "أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعِيبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَام، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْبَلْ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً"(رَوَاهُ الْبُخَارِي)..

إنها الشريعة العادلة التي لا تسمح بتعسف أو تجبر فإن كان الطلاق بيد الرجل فالخلع بيد المرأة ومن حقها.

ولكن تذكري حديث الحبيب صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة"(رواه أبو داود).. فتمهلي يا بنيتي..

* * *

من واقع الحياة

مشكلة

جاءتني رسالة تقول: أنا زوجة منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، ولي أبناء في المرحلة الجامعية، وقد اعتدت لقاء زوجي ربما يوميًا وفجأه نتيجة ارتفاع ضغط الدم أصيب بشلل نصفي.

إنني أشعر بضرر شديد له أثره على حياتي وتفكيري ويسيطر على خيالاتي التي جعلتني كالمراهقة تنفعل بأي مشهد في الفضائيات، فهل يحق لي طلب الطلاق.

وأقول للسائلة: سيدتي الفاضلة أنا أقدر فيك هذه الصراحة، ولا أستهين بمشاعرك وأحاسيسك، ولن أبخسك حقك فلك الحق في طلب الطلاق للضرر، وذلك حسب النص والمستقى من رأي ابن القيم والذي تتضمن المواد ٩، ١٠، ١١ أن المرأة إذا تزوجت وهي عالمة بالعيب أو بعد العقد ورضيت به صراحة أو دلالة بعد علمها فلا يجوز التفريق ويستعان بأهل الخبرة في تحديد العيوب.

ولكن أهمس في أذنك لو كنت أنت التي ابتليت بالمرض والمرض سيف على الرقاب، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحوج من معافى لا يأمن بلاء، فهل سيروقك أن يطلقك لمرضك؟!

نحن نخطئ كثيرًا في تصوير الزواج على أنه متعة جنسية فقط بالطبع هو من أهم دواعي الزواج الإعفاف، ولا غنى عنه، لكن هناك الرحمة التي جعلته يصبر عليك إبان حملك ورضاعك وأثناء الدورة وأثناء المرض.

وهناك المسمى العظيم الراقي "الصاحب بالجنب" في السراء والضراء، في الصحة والمرض، في الشباب والهرم.

ثم إنك تقولين إنك في التاسعة والأربعين وأم لأبناء بالله هل بعد الطلاق ستجدين الزوج على طبق سلوفان، وإن وجد فمن يضع على رأسه خيمة تحميه من قدر الله؟

آسفة، ولكم من الأعوام ستبقى هذه الرغبة بهذا العنفوان، إنها سرعان ما ستزول يا سيدتي وتبقى صورة الأم الممسوخة أمام الأبناء الذين يتطلعون لبناء حياة جديدة، وتبقى أيضًا صورة الزوجة التي ما احتملت مرض زوجها وخرجت تبحث عن أحوالها، وبعد سنوات قليلة أنت نفسك ستشعرين بأنك تعايشين أوقاتًا زائغة لا تحتملها الصحة ولا الوضع الاجتماعي، وربما ندمتِ حيث لا ينفع ندم.

حبيبتي سأضع لك روشتة عاجلة.. أغلقي نوافذ الرغبة بعدم مطالعة أو مشاهدة كل ما يثير لأن الرغبات كالنار كلما غذوتها اشتعلت وارتفعت أكثري من قراءة القرآن والذكر والاستغفار.. تذكري مقام الصابرين ومقام الطائعين ومقام المحبين..

واستعيني بالله وانظري من حولك كم من فتاة لم تتزوج أصلًا وفاتها سن الزواج؟

وكم من امرأة ترملت وفقدت الشريك وصبرت؟ ولتعلمي أن الدنيا دار ابتلاء لا دار سعادة..

اصبري واحتسبي من أجل أولادك.

أخرى تقول: سامحيني لو قلت إنني امرأة تعيسة بعواطفي الهوجاء، فأنا زوجة لرجل طيب لكنني غير مقتنعة به بل أفضل دائمًا عليه أي رجل لأي سبب، وكثيرًا ما أتمنى أن أكون زوجة لأي آخر سواه، وللأسف لي منه أطفال، فماذا أفعل؟

ورأيي أن تكفي فورًا عن هذا العبث.. إن هذه النفس المعتلة تحتاج لوقفة فورًا والا وقعتِ فيما لا تحمد عقباه.

عليك أن تراجعي مثالب شخصيتك وكوني واضحة وصريحة واعلمي أن الحرام بيّن وجلي وليس بالحب والعواطف تبنى البيوت، وإنما بالاحترام والإيثار فإن عالجت هذا القصور في نفسك فقد نجحت، خاصة أن لك نفسًا لوامة طيبة.

والمعالجة تبدأ بتقوية واعظ الله في قلبك، وتذكر أنعم الله عليك، الصحة والبيت والأبناء فإن لم تنجحي في تطبيب نفسك، فعليك بطلب مساعدة طبيبة نفسية، وإلا اطلبي فورًا الطلاق من زوجك حتى لا تستبقي مسلسل ظلم زوجك وظلم أولادك وظلم نفسك.

* * *

مشكلة

سائلة تقول: تمت خطبتي على شاب بعد قصة حب دامت عدة أعوام لكننا لم نتحكم في مشاعرنا، فبمجرد الخطبة كنت ألتقي به وكان يعاشرني معاشرة الأزواج وكنت حريصة على ألا أحمل، ولكن للأسف حملت وقد سارع خطيبي بالزفاف ولكنني الآن في الشهر الرابع، فهل لي أن أجهض نفسي حتى لا يعيرني أهلي؟

واقول: الخطبة وعد بعقد وليست عقدًا، والمعاشرة خطيئة توجب التوبة والاستغفار والمسارعة بعمل الخيرات، والإجهاض حرام وكبيرة من الكبائر لأنه اعتداء على نفس، ولا يعالج الخطأ بخطأ والمولود ينسب لأبيه وله كافة حقوق النسب طالما استلحقه واعترف ببنوته، وإن عمر بن الخطاب ألحق أولاد الجاهلية بآبائهم، وذكر ابن تيمية أن ولد الزنا يلحق بأبيه.

* * *

مشكلة

اخرى تقول: تمت خطبتي على شاب يدرس في الخارج، واتفقنا على أن نلتقي عبر الإنترنت، لكن تطور الحديث بيننا إلى عبارات تلهب المشاعر بل وتوقعنا في الزنا، أنا أخاف ربي وقررت ألا أحادثه ولكن كثيرًا ما أضعف أمام صوته ورسائله التي كثيرًا ما بادلته إياها.

وجوابي هو أن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢] وخير للفتاة أن تتعفف وأن تقوي إرادتها.

إني ابتليت بأربع ما سُلطوا   إلا لشدة شقوتي وعنادي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى   كيف النجاة وكلهم أعدائي؟

* * *

مشكلة

بينما تمت خطبة أخرى على شاب يتمتع بالكثير من الصفات الحسنة إلا أنه يصر على الخروج معي في الأماكن العامة وأحيانًا دخول السينما.. وتسأل ما حكم الشرع؟

وأقول: يا بنيتي جميل منك التحرج من خالقك برغم إعجابك الواضح بخطيبك، وما هذا إلا دليل الخشية والفطرة المؤمنة.

يا عزيزتي أنت على حق، فالخطبة ليست إلا مقدمة لعقد ولا يترتب عليها أي مترتبات شرعية، وللخاطب بعض الحقوق من ذلك التعرف على شريكة حياته نفسيًا وذلك يتجلى من خلال زيارته للأسرة، ولا مانع من التحدث والتعرف عليك على مائدة الطعام وأثناء المناقشات العامة شريطة أن يتم ذلك في حياطة الأسرة، ولا داعي للتجمل المبالغ فيه فلست في حاجة إليه في هذه المرحلة لأنها مرحلة التعرف على إمكانية التعايش.

أما الخلوة أو الخروج إلى المحافل العامة فكل ذلك ضمن البدع الوافدة علينا وتخالف في مجموعها الآداب الشرعية والخلق الإسلامي، وكفى أنك

المتضررة الوحيدة لو لا سمح الله رجع عن خطبتك والقرار السليم بالنسبة لك أن تعجلي العقد، وحاولي تعريفه تدريجيًا بالضوابط الشرعية، والله معك يا بنيتي.

* * *

الولد أمانة (كما تدين تدان)

الولد أمانة (كما تدين تدان)

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف:٨٢].

إن تقوى الله، والحرص على مرضاته، والتعفف عن الحرام، يورث البركة للأبناء ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:٩] .

ولن تجد الأبوة قابلاً مستجيبًا من الأبناء للوعظ الشفوي.. فكيف ينصت الولد لوالد يأمره بالصلاة وهو متكاسل؟ وبالأمانة وهو مضيع لها في عمله؟ فمعارف العمل يقدمون الهدايا والقرابين لإنجاز مصالحهم..

وكيف يؤمر بالبر وصلة الرحم ويراه يعق والده ويتفق مع محامٍ لإخراج أخيه من شقة العائلة، وتتبارى الأم في الحقد والحسد على أخواتها؟

وكيف يؤمر بغض البصر والوالد لا يؤتمن على خادمة بيته؟

لهذا يقول الحبيب فيما رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: "عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض" (ورواه أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد حسن).

المساواة بين الأبناء:

الولد مشاعر وكذلك كم هائل من الانفعالات، فلو فاضل الوالد في المعاملة بحكم الاستجابة أو الأدب لتحول الولد من طفولة بريئة إلى

عدوانية تصل إلى درجة الحرب؛ لهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" (رواه البخاري).

وقد كانت البنات في الجاهلية تُستقبل استقبالاً سيئًا، لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائمًا يذكر ببركة البنات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أوس بن ساعدة الأنصاري دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي بناتاً وأنا أدعو عليهن بالموت، فقال: يا ابن ساعدة لا تدع عليهن فإن البركة في البنات هن المحملات عند النعمة والمنعيات عند المصيبة والممرضات عند الشدة تقلهن على الأرض ورزقهن على الله"..

هن المجملات عند النعمة، النعيات عند المصيبة، الممرضات عند الشدة، يعشن على الأرض ورزقهن في السماء.

لهذا أمر صلى الله عليه وسلم بحسن استقبال المولود دون التفرقة بين ذكر أو أنثى، ووضع آدابًا لاستقباله.. منها استحباب التهنئة به لإدخال السرور على قلب والديه دون تفرقة بين ذكر أو أنثى، واستحباب التأذين، وليكن أول ما يسمعه الوليد اسم الحق والشهادتين، واستحباب إطعامه تمرًا لينًا يمرر على فمه، واستحباب اختيار اسم لا يسيئه، واستحباب إزاله شعر الرأس والتصدق بوزنه فضة.. ومنها استحباب الذبح عنه للولد شاتان وللبنت واحدة.. وأيضًا استحباب الختان.

* * *

أسباب انحراف الأبناء

روى البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»**.

ولأنه أودع سر الخلافة عن الله، فهو موجه إلى الخير بكل طاقاته.

إلا إذا تعرضت الفطرة لعارض خارجي ترك بصمته وأثره.

هذا من أهم أسباب انحراف الأبناء إلى جانب ما يلي:

◐ **أما ضعف الوازع الديني** ◑ فمن أهم معايير الصحة النفسية للإنسان توافق سلوكه ومعتقداته مع منهج الله. فإذا ما ضعفت الرقابة الداخلية تهاوى في غياهب الضلال..

ومن أسوأ ما ينجم عن ضعف الإيمان عدم الرضا. ففي نطاق الإعسار فإن الرضا يفتح بوابة الرزق وبوابة القناعة والصبر.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

لكننا نرى رب الأسرة الموسرة سخطًا نكدًا يقدم على كل عمل حتى لو فيه غضب الله والأبناء من حوله ينظرون، ويصبح الفساد من كثرة المشاهد والمخالطة أمرًا معتادًا فيهم جميعًا لا همّ لهم سوى تحصيل المال ولا يبالي من حلال أو حرام.

فإن تيسر الحال أعرض عن زوجته وألقى ببيته وعاد للتبرم والضيق ولا ينتهي ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

في نطاق الأسرة الموسرة المبدأ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون].

فنجد أن الموسر غير راض برغم وفرة خزائنه، لأنه مشغول بتكثيرها واستقصاء المتع.

على قدر يساره وهو في حركة سعيه يحزنه أن يرى على الحلبة مصارعًا أقوى.

أما الأبناء فهم تحت امرأة مغرورة مسيطرة شحيحة مغيبة عن ناظريهم.

عدم الرضا في الحالتين إفراز طبيعي لضعف الإيمان فلا المعسر قانع راض يعمل على تغيير حاله مجاهدًا متبعًا منهج العفة والطهارة في الرزق مدركًا أنه لا صلة في الرزق ولا شفعاء في الموت، ولا الموسر قانع في داخله بما عنده بل ليس لطموحاته حد والأبناء في الحالتين أسرى للطمع.

◐ عدم تنفيذ منهج الله في كيان الأسرة: ◑

فالأم أصبحت قوامه والولد وخاصة بعد ازدياد الطلب عليها في سوق العمالة، وتثاقل الأب عن دوره مجبرًا أو مختارًا فأوجد ذلك الوضع خللًا وظيفيًا في كيان الأسرة.

وشيئًا فشيئًا ضاقت المرأة بسطوة الرجل الذي لا ينفق بينها تحولت المرأة إلى مسخ امرأة والأبناء هم الضحية لهذا الصراع، فالأم منصرفة للعمل والأب مقهور أو متهرب من الوضع الجديد والأبناء بلا قدوة، بل ربما تُرك الأبناء وحدهم فيضيع أبناء المثقفين أيضًا ويتيهون في دروب العقد والمخدرات.

◐ رفقة السوء: ◑

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف] .

إن من أشد المؤثرات رفقه السوء.. يقول الحق: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان] .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة». (متفق عليه).

وهنا يأتي دور الأم فلا تتخلى عن ملاحظتها لأبنائها ومن يصادقون.

ويوجهنا الإسلام للأسس التي تبنى عليها الصداقة، وهي:

١- التبرؤ من الأغراض.

٢- أن تكون خالصة لوجه الله.

٣- أن تنمو وتكبر في طريق الخير.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة

لقربهم من الله تعالى ومجلسهم منه فجثا أعرابي على ركبتيه فقال يا رسول الله صفهم لنا وحلّهم لنا قال: قوم من أفناء الناس من نزاع القبائل تصادقوا في الله وتحابوا فيه يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يخاف الناس ولا يخافون هم أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»
(هذا حديث صحيح الإسناد، رواه الحاكم)

◑ وسائل الإعلام: ◐

إن وسائل الإعلام على أنواعها لها دورها البالغ في تنمية الطفولة عقليًا واجتماعيًا وعاطفيًا باعتبارها أداة توجيه وتنمية ذوق وهي وسيلة لتكوين العادات والمفاهيم ونقل المعلومات وتوصيلها بشكل جيد.

الخلاصة أن وسائل الإعلام تشكل ثقافة الطفل، والمعلوم أن الثقافة من أهم المعايير التي تميز الأفراد والشعور..

وعلى الرغم من هذه الأهمية إلا أن المكتبة الإعلامية تكاد تخلو من هذه الدراسة إلا فيما ندر فنجد دراسة تقول إن ٩٠٪ من الأطفال يفضلون التلفاز وإن الهدف الذي تسعى إليه برامج الأطفال هو توجيه الأطفال إلى أنماط سلوكية جديدة وتقوية الحس الديني والوطني، ولكن الواقع يقول غير ذلك فقد ارتبط الأطفال بما يقدم للكبار دون تحديد وأصبحت نغمة الإحباط والرغبة في الشراء السريع هي الأثر الملاحظ وخاصة بعد هذا الكم الهائل من المسلسلات الأمريكية وما تحويه من عنف وجنس ونتيجة لما يُقدم على الكمبيوتر ظهر قاموس خاص بالأطفال منها الطحن والدماغ والشلة وكبر.

من واقع الحياة

مشكلة

ومن المشاكل التي وصلتني بشأن تربية الأولاد وأثر تلك التربية في مستقبل الأبناء تلك الرسالة التي كان فيها: مشكلتي تكمن في ابنتي فهي مثال حي على نتيجة قسوة الأب وما ينجم عنه، فهي ابنة ٢٣ عامًا، رقيقة وجميلة وحساسة للغاية، أنهت دراستها الجامعية وتقدم لخطبتها زميل لها ولكنني في حيرة هل أخبره بالوجه الآخر لابنتي أم لا فهي تعاني من حالة غريبة عجز عن علاجها الأطباء النفسيون والمشايخ وكل من لجأت إليه، فهي نتيجة لغلطة أبيها وقسوته الشديدة عليها، وعلى فترات تنتابها حالة تتمثل في أنها تدخل في حالة اكتئاب وانفصال عن المجتمع والناس وتصبح في عزلة تامة وتجلس تبكي وتتكلم مع نفسها لفترات طويلة عندما تفيق لنفسها تقول لي: لم أشعر بأي شيء حدث لي..

وقد أشار علي البعض بأنها ملبوسة أو راكبها جن فلا أعرف ماذا أفعل أشيري علي؟

وأقول لها أحيانًا يتعامل الآباء مع فلذاتهم وكأنهم أنداد لهم، وكم أشعر بالحزن والأسى كلما وجدت أبًا يسوم أبناءه العذاب ويمعن في

إذلالهم وتحقيرهم وإهانتهم بدعوى تربيتهم، ونسوا أن القسوة والاستبداء والفظاظة لا تربي بل على العكس تقدم نماذج مريضة مهانة مستضعفة، لا تملك رأيًا ولا تقدم حلاً وأن مرحلة الطفولة والمراهقة هما اللتان تتهيأ فيهما شخصية الفتى أو الفتاة، فالذكريات تشكل المخزون الثقافي والنفسي والاجتماعي والديني وترسم الخريطة الإدراكية.

على كلٍ ربما يأتي مع الخاطب الجديد الأمل في الشفاء لعله البلسم الشافي لجراحاتها النفسية..

عليك سيدتي أن تتهللي أمامها وأن تشعريها بأن السعادة بدأت ترفرف عليها، ولا تتركيها بمفردها، أحيطوها بالأهل والأصحاب على ألا تذكروها بشيء مما يصيبها بالحزن، اشغليها بالمشتريات والتهيؤ للوضع الجديد.

فإن قلت الحالة المرضية أو اختفت تمامًا فلا داعي لفتح هذا الموضوع أمام خطيبها.

أما إن استمر الحال فانتهزي فرصة إقباله عليها وفرحته بها وأخبريه بأنها على قدر من الحساسية ورهافة الحس وقد تأثرت فترة من شدة أبيها ولا تهولي الأمر، وأنا على يقين أن الله سيشفيها بإذن الله.

مشكلة

ومن المشاكل المؤلمة التي وصلتني تلك المشكلة.. توفي زوجي وترك ميراثًا لا بأس به وكان لدي فتاة مريضة أنفقت

عليها ميراثي وميراث أختيها بينما حصل العم والجد على ما يفوق نصيبها بعد ما أجبرنا على التنازل عن المصنع بحجة أن والده وأخاه يعملان فيه.

أنا الآن في أمس الحاجة لعلاج ابنتي فهل يحق لي رفع الأمر للقضاء ولدي ما يفيد صحة ما أقول؟ ولكم الشكر.

بالطبع لك الحق في رفع الأمر للقضاء لطلب الإنفاق على ابنتك، ويا ليتنا نتأمل ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٢٣٣] أي كما له أخذ الميراث فعليه أيضًا أن يلهث وراء هؤلاء الذين لا حول لهم ولا قوة ويمد لهم يد العون.

وقبل رفع الأمر للقضاء عليك بالاتصال بكبير العائلة لمحاولة إنهاء الأمر بشكل ودي.

سيدة تسأل: ابنتي تحادث شابًا عن طريق الإنترنت واكتشفت ذلك مؤخرًا، إنها في الخامسة عشرة من عمرها، وعندما واجهتها بذلك أصرت على أنها تقوي لغتها وأنها لا تعرفه إلا عن طريق البرامج والألعاب التي يرسلها إليها ماذا أفعل؟ أستمر في منعها وحرمانها من الجلوس على الإنترنت أم أتقبل الأمر؟

وأقول لها: سيدتي، ابنتك صغيرة جدًا على ترك الأمور بيدها، لابد من الحوار والتفاهم وإرشادها إلى الأسلوب الأفضل لتعلم اللغة وذلك من خلال أسلوب يتسم بالحسم والاحتواء في الوقت نفسه.

ولابـد أن تكـون لـديك ثقافـة حـول مخـاطر المحادثـة، واسترشـدي بخبرات الآخرين، وعليك أولا وضع الجهاز في غرفة المعيشة ليكون متاحًا لكل أفراد الأسرة معرفة الأمر وتعللي بأي شيء فإن شعرتِ بالخطر فلابـد من الحسم الرادع وإيجاد البديل فورًا.

* * *

أبنائي والتركة المثقلة

أبنائي والتركة المثقلة

الأبناء هم حملة التركة المثقلة، وسدنة الأمة التي أدماها الحاضر المتردي.

الأبناء هم طوق النجاة من غرق محقق..

هم أمل الغد.. هم كلمة الله على الأرض..

هم أملنا في النجاة من يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

هم الرجاء في جيل يعرف خالقه ويُبدع من أجل مرضاته فيسعى أن ينظره وهو في حال من الشفافية والطهر والرضا والقناعة والعمل الصالح.

من هنا كان واجبا علينا أن نترجم الاستغفار وطلب الصفح والعفو على ما فرطنا وعلى ما تلبسناه من أردية الخنوع والاستسلام والتمني بأن نعيد النظر في تربية أبنائنا (وكم أشفق عليهم!).

ولتكن لهم مؤسسات تربوية وتعليمية أكثر حميمة وإخلاصًا وأكثر اتصالاً بالوسائط التربوية بدءًا بالأسرة، ثم المدرسة، ثم النادي، ثم الجامعة..

لنقم بتفعيل القيم الرفيعة وتوظيفها بينهم، مع ملاحظة أن الحسم والحزم باليقين بالله شاهدًا ومراقبًا ومحاسبًا من أهم الأبجديات التي يجب أن تتضافر سائر الجهات المعنية بترسيخها بأسلوب هادئ يسير متفق عليه،

لا يعوزه الإرشاد، ثم إعانتهم على التواصل الروحي مع السماء، فيما ضيع أجيالنا إلا هذا التناقض غير المتعمد أحيانًا بين ما يلقنه في البيت والمسجد والمدرسة والتلفاز.

وبقراءة متأنية للبرامج الدراسية سنجد تغايرًا عجيبًا ففي بعض المواد محاذير عديدة وتهويل وتخويف غير ممنطق بينما بمواد أخرى نجد استدراجًا نحو الفكر المنقوص فلا يكاد يشعر ابننا بقدر من الحرية الفكرية إلا ويقذف به نحو هوة سحيقة من العدمية واللامبالاة أو المادية والإلحاد.

والنتيجة هي ما نراه الآن شباب يصترعون تحت أقدام التغريب ويرون النموذج الأمريكي هو الخلاص وهو السبيل لتحقيق الفردوس الآني، فالمادة إكسير العصر، والدولار الرئة العفية لتنسم رحيق الحياة.

وآخرون لا رباط ولا رابط ولا توقير ولا اهتمام وإنما عبثية تفرغ شحناتها عبر المراقص والفيديو كليب والمخدرات والجنس.

بينما صنف ثالث من شبابنا ضيق الإرهاب والعوز والظلم والقهر أوعية الرؤية الصحيحة لديه فتشرنق حول نفسه، واختار أن يسير إلى الوراء ويعبر الحاضر بموازينه غير الشريفة، وأن يسكن إلى انتصارات ولت دون أن يعي أن النصر والحفاظ عليه يكمنان في قوة الإرادة والعزيمة المؤمنة الفاعلة الآخذة بأسباب النجاح بحسب كل عصر، فليس العيب في زماننا وإنما العيب فينا، وصدق الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

الإرهاب:

ومن هذه الطائفة الأخيرة من طالته يد خفية محركة لشجونه بعد ما تعرفت على رد فعله نحو الأشياء وبعد عكوفهم على ترجمة لغوياتهم العصبية فقاموا بتوجيه عقولهم بما يخدم أفكارهم، فكان هذا الطوفان الرهيب من الخراب والدمار والدماء.

وحسبنا أن نقول لهذه الفئة القليلة من شبابنا الذي ضل الطريق الصحيح نحو الإصلاح والهداية: ألم يقرأ أحدكم قول الحق: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج] .

وأول الحرمات حرمة الدماء..

ففي الحديث المرفوع: خَطَبَنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟" فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ".

بل وقف الحبيب صلى الله عليه وسلم يتأمل الكعبة وما لها من قدسية ومهابة، ثم قال: "ما أعظمك! وما أقدسك! والله إن حرمة دم المسلم لأقدس عند الله من حرمة الكعبة".

الإعلام وتهوين الجريمة:

وبالطبع لا يمكن أن نغفل دور الإعلام المتردي في التهوين من شأن الجريمة، بل أصبح من المعتاد اليومي أن نرى مع قهوة الصباح بقع الدم الذكي على الجدران وعلى الأرض وعلى أغصان الزيتون الذبيحة..

ونلمح مع مشاهد الصبح المشرق أشلاء إنسانية تحمل أسرارها وقد حفرت على البقايا.. فهذه آماله وطموحاته ومشاعره الجميلة، وهذا قلبه يحمل أذكاره، وهذه بقايا دفء الأبوة وحب الحياة.. ففي الحديث المرفوع عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ"**.

كلها أشلاء تلملمها أيدي الصبية ليواريها الثرى، لكنها تشعل في قلوبهم الغضة إرث الثأر والانتقام. فإن كان اليهود يذكرون أبناءهم دائمًا بما فعلته النازية بهم فترى في كل مكان وعلى الأبواب والجدران عبارة "حتى لا ننسى" فكيف بمن تُدنس أرضهم وتهدم دورهم ويحرق زرعهم وتسفك دماؤهم؟!

فكيف بمن استشهد بينهم الأب وذبحت الأم عيانًا ورضع الصغير مع اللبن قطرات الدم؟!

كيف لهم أن ينسوا؟!

من هنا كان لزامًا علينا في ظل هذه المتغيرات أن نضع آلية جديدة لتربية الأبناء يتضافر على إعدادها كل مخلص لهذه الأمة من المفكرين والتربويين والدعاة والساسة، ولتكن على سبيل الإلزام.

إن تعداد الطفولة في الأمة العربية بحسب آخر إحصاءات اليونيسيف سيتضاعف بحلول عام ٢٠٥٠ إلى ٦٨٠ مليون نسمة.. ترى ماذا أعددنا لهم!!

أخشى ما أخشاه أن نظل سادرين في غيبوبتنا بينما على مقربة منا عدو شرس يضع الخطة تلو الأخرى لاستبقاء حالة اللاوعي لدينا، بينما هم يحسبون الوقت بحسب ما تم من تحديث واكتشاف وإعادة ومراجعة ونقض ما تم من إنجازات.

علينا أن نقرأ قراءة جيدة أكثر واقعية وإنصافًا لما تقتضيه العولمة التي دخلت بسرعة الصاروخ منطقة التنفيذ الفعلي، وأن نواكب المتغيرات التي ليس لنا فيها انتقاء بالبحث عن ذاتيتنا وترسيخ جذورنا وتأصيل عقيدتنا حتى لا تضيع معالمنا مع الخارطة الجديدة التي تخطط على الواقع بالبارود والدم والفيديو كليب.

إن الشعور بالوطن وحق المواطنة يفرض علينا أن نملك قدرًا من الصلاحية الذاتية التي تؤهلنا لإصلاح أبنائنا، وقدرًا من المعرفة لنتمكن من الانتباه وإدراك ما يحيق بنا وبأبنائنا، وقدرًا من القوة لنذود عن أرضنا وعرضنا.. ليرث الأبناء المعرفة والقوة وحماية الأرض والعرض، ولنجعل أوعية القلوب خير حافظة حتى لا تدرس معالمنا، وتغيب خصوصيتنا في أودية القهر والنسيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد:١١] .

وما بقي إلا كيف نبدأ؟

* * *

حقوق الأبناء

حقوق الأبناء

الولد النعمة المهداة، والفرحة الموصولة بالنفس والفؤاد، الغراس الأصيل في القلوب الممتد إلى الغد. الولد أمل الأبوة حيث يدور الآباء في حلبة الرزق ليخرج الابن من ديار الأهل حيث السكينة والأمان إلى تيه الغربة وجفوة الاغتراب.

الولد عطية الرحمن وهبة مقدرة جاءت بقدرته وبقوله تعالى "كن" وإن توافرت الأسباب بيد أن العطية منحة ليؤمن الجميع أن الأسباب لا تعمل بغير مراد الله تعالى.. ولا يشعر بهذه النعمة إلا من حُرم منها.

وهو بلية تنزع الراحة وتزرع الشوك وتقتل الأمل وتحرق الأوراق والزهر والشجر إن تضافرت عليه عوامل الإفساد، وخرج عن منهج الاستقامة.

وهو اختبار وابتلاء وترقية وأمل في جنة قطوفها دانية إن استرد صاحب الوديعة وديعته وصبر الآباء على الفراق ولوعته.

ولقد وجدت في الشريعة الإسلامية تفصيلاً منفردًا عند استقبال المنحة والنعمة، وعند العناية بها بل وجدت الأجر الرفيع والمقام الجليل لمن صبر على الابتلاء فيهم وبهم.

ووجدت أيضًا كمًا زاهلاً من المواثيق الدولية والأعراف التي تحث على رعاية الأبناء والتي لم تكن سوى أحبار وأوراق بدءًا من إعلان جنيف

الخاص بحقوق الطفل عام ١٩٢٤ ومرورًا بالميثاق العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ المادة ٢٥، وميثاق حماية الأمومة والطفولة عام ١٩٤٩ وإعلان حقوق الطفل ١٩٥٩ ثم اتفاقية حقوق الطفل ١٩٨٩ التي أوضحت وفصّلت حقوق الطفل في الحياة الحرة وفي التعليم والمساواة، ثم الإعلان العالمي لبقاء الطفل ١٩٩٠ وحتى الإعلان لحقوق الطفل ٢٠٠١ والذي تأجل إلى عام ٢٠٠٢ ومر مرور الكرام والذي اصطبغ بالكونية، وخرج عن الأطر العقيدية والأعراف والخصوصية الحضارية.

وعلى الرغم من هذا الكم من المواثيق فإن المجتمع الدولي يشهد يوميًا وفاة ٥٠.٠٠٠ ويزيد من جراء الحروب وسوء التغذية والمياه غير الصالحة للشرب بل وعلى مشهد من العالم يذبح الأطفال في فلسطين والعراق ويباعون بل منهم من يُربى كالأنعام ويباع في ساحة البغاء من قبيل الخدمة للأشذاذ كما حدث في كوسوفو.

وعلى مشهد من العالم تُسرق الأجنة ليستخدموا كفئران تجارب في المعامل فتصنع من خلاياهم المساحيق والمستحضرات والكريمات التجميلية..

بل يتم الحصول على الأجنة إما بالإكراه على الإجهاض أو عن طريق مزارع الأطفال.

وعلى مشهد آخر لمشاهدي الإنترنت يقدم نوع من الممارسات الوحشية الحقيقية حيث يصور مقتل طفل على يد كلب عقور يقوم بالتهامه بعد تمزيقه أو تختطف سيدة على وشك الولادة فيبقر بطنها في وحشية مروعة،

ويصور الهلع على وجه المرأة وهي تُسلم الروح من هول الألم ثم يخرج الكلب المدرب الجنين، وبالقبض على بعض أولئك شوهدت أفلام مهينة للإنسانية عندما تتردى إلى أسفل سافلين.

وعدت من جديد لقراءة متأنية في الأحكام الشرعية حول الطفولة فوجدت ما يلي.

حرص الإسلام على نقاء النسب والحفاظ على بناء الأسرة، فأبطل الكثير مما تعارف عليه الناس في الجاهلية (التبني - الاستلحاق - المساعاة) لهذا كان للنسب تقديره السماوي فقد باركته السماء قبل الأرض ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان:٥٤].

والنسب هو الرابطة التي تربط الإنسان بغيره من جهة الدم، والأسرة هي وعاء النسب وهي وعاء المشيئة المقدرة لعمارة الأرض.

كذلك حرص الإسلام على أن يأتي الولد من خلال أبوة مستقرة، إذ وضع أسسًا ومبادئ لابد أن يتبعها راغب الزواج، فجعل المعيار قدر الصلة بالله أي الصلاح والتقوى، يقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٢] ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١]، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" (رواه مسلم).

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، فلأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل" (رواه ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن زياد).

وبرغم هذه المحاذير لم يغفل جانب القبول "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما" (رواه الترمذي).

كما أمر الفتاة أن تتخير صاحب الخلق الملتزم السوي..

قال صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . (رواه الترمذي وغيره).

ثم أمر بحُسن العشرة، حيث الدفقات هائلة من المودة والرحمة. يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم:٢١] .

ولو اتسم الزوجان بهذه المحبة فالبشرى لهما بحياة طيبة، ومن هنا يأتي الولد.

أما حقه في الحياة فنجد أن المواثيق الدولية تحدثت فيه كثيرًا رغم إباحتهم الإجهاض ورغم الكيل بمكيالين فأطفالنا غير أطفالهم!!

بيد أن الشريعة الإسلامية عنيت بالطفولة وتعهدتها بالرعاية في المرحلة الجنينية بل عند بداية اللقاء بين الزوج والزوجة، وذلك حسبما جاء

في الحديث الشريف: "لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدًا" (رواه البخاري).

كما حثت الأم على الحفاظ على جنينها بأن تعمد إلى التغذية السليمة والراحة النفسية. كما حرمت قتل الأجنة، فمن فعلت ذلك فعليها دية.

كذلك رُخص للحامل الفطر في رمضان..

كما أوجبت تأجيل العقوبة على المرأة الحامل.

كما أوجبت كذلك على الأم إرضاع طفلها وحددت لذلك عامين كاملين ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[البقرة:٢٣٣].

هذا وقد أثبتت البحوث الطبية والنفسية أن فترة العامين ضرورية لنمو الطفل نموًا سليمًا صحيًا ونفسيًا، والعامان مرحلة انطلاق القوى الكامنة والإنجازات الكبيرة، ففي هذه المرحلة نلاحظ نموًا جسيمًا سريعًا وتزايدًا حسيًا وحركيًا، بالإضافة إلى تعلم اللغة.

أيضًا جعلت الشريعة المُحكمة الحضانة للأم ما لم يقم بها مانع.

كما حددت الشريعة مكان حضانة الطفل مراعية في ذلك التحديد مصلحة الطفل التي لا تتحقق إلا بالجمع بين أمه وبإشراف أبيه.

وأوجبت على الأم تمكين الأب من رؤية ولده وعلى الأب مثل ذلك.

كما أوجبت نفقة الصغير على أبيه لضمان رعايته وسلامته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [البقرة:٢٣٣] وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعًا: "**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**". (رواه مسلم والترمذي).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، قالوا فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: الهموم في طلب المعيشة**".

والإنفاق على قدر السعة ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧].

الأب ينفق على البنت حتى تتزوج وإن طلقت أو توفي عنها زوجها التزم الأب بالإنفاق عليها.

بالنسبة للولد فينفق على نفسه بالبلوغ مع القدرة على الكسب، أما إسقاط النفقة بمجرد البلوغ فغير صحيح بل هو تخل عنهم في أعنف فترات العمر وليس على الأم نفقة.

كذلك ألزمت الشريعة الأب الموسر بالإنفاق على ولده إن سدت أمامه أبواب الرزق أو وقع في ضائقة، أما إذا أعسر الأب أو توفي تتحمل

الأم النفقة على قدر ميراثها، وكذلك كل وارث عليه أن يعيد ما أخذ للإنفاق على أبناء المتوفى إذا احتاجوا ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾[البقرة:٢٣٣].

أما عن المساواة فمهما تغنى دعاة الرحمة بالمطولات والأراجيز التي تكفل المساواة لجميع الأطفال دون نظر إلى جنس أو دين فإننا نجد عنصرية بغيضة وتفرقة مهينة.

أما التوجيه القرآني فقد نصّ على ذلك في قرآن يتلى ويتعبد به..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات:١٣] .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠] .

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾[التوبة:٦٠] .

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾[المعارج].

حق الابن في الأمن الاجتماعي والغذائي والتعليم والرعاية الصحية..

يقوم هذا الحق على محورين.

الأول:

دور الولي والولاية إعداد وتربية أولية من خلال قالب شرعي يكنى بالحضانة ودور الأم ومن خلال قالب شرعي يكنى بالولاية، وهناك الولاية على المال لمن يملك مالاً من الأطفال.

الثاني:

دور الأمة الإسلامية التي تقوم بمهمة حصر المستحقين للزكاة، وهذه مهمة بيت المال فكان يقدم الزكاة لمستحقيها بعد بحث وتمحيص، وصاحب المال يقدم المال طواعية ليتطهر ماله، والمستحق يتقدم للأخذ دون زيادة..

وهذا النظام يفرز ما يكنى بالأوقاف الخيرية التي تقوم على تعزيزات من أهل الخير لتقديم الخدمات ومن بينها التعليم والصحة لخدمة الأطفال والأرامل والمطلقات.

ومن أشهر الأوقاف وقف صلاح الدين الأيوبي لإمداد الأمهات بالحليب اللازم للأطفال حيث جعل في أحد أبواب القلعة ميزابًا يسيل فيه اللبن، وآخر ماء مذاب فيه سكر تأتيه الأمهات في الأسبوع مرتين، ووقف خيري لمن يكسر الصحون من الأطفال..

ومن أشهر الأوقاف كذلك (مستشفى أبو الريش - السبع بنات – قلاوون – المضفر - قصر العيني).

وكلها تقدم أعمالاً خدمية مجانية.

أيضًا حقه في التعلم حيث يقوم الوالي بتعليمه وتدريبه إعمالاً لقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦] وفي الحديث: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (رواه ابن ماجه والبيهقي).

يقول الإمام علي بن أبي طالب: "علموا أولادكم على غير شاكلتكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم".

وفي كتاب "تهذيب الأخلاق" لابن مسكويه نجده ينهى عن ترك الأولاد في يد الخدم حتى لا يتخلقوا بأخلاقهم، ومن جملة ما ذكر أن عمر بن عيينة قال لمؤدب ولده: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيوبهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت واستحسنت والقبيح عندهم ما تركت".

ويكفينا هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تشغيل الصبية الصغار في الأعمال الشاقة والعنيفة، واشترط سنًا محددة لمن يشارك في الأعمال الحربية، كما حث الولي على تربية الولد جسميًا وعقليًا وروحيًا، وبأن يهتم بالطاقة الحيوية المنبثقة عن الجسم والممتلئة بالمشاعر والرغبات فيراعي تغذيته تغذية سليمة لتكوين الخلايا ولزيادة مناعة الجسم ضد الأمراض.

ولا تنسى الأم الآداب الإسلامية التي علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"** (متفق عليه).

وقال: **"ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"** (أخرجه الترمذي).

ثم شكر المنعم الذي أعطانا وأغنانا.

ويراعى الابن عند النوم فنرشده أن ينام على الشق الأيمن أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يقول: "اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك" فقد ثبت أن النوم على الجانب الأيسر يضر القلب ويعيق النفس.

وإن يتيمن في ملابسه ومطعمه "تيمنوا فإن في اليمن بركة" كما يتم تعويده على الأمانة والإخلاص والجدية.

* * *

التربية العقلية

كذلك يحترم الإسلام الطاقة العقلية ويشجعها ويقدّر الفروق الفردية ومسئولية الأب والأم في التوعية الدائمة.

"أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل العرش يوم لا ظل له إلا ظله". (رواه الطبراني).

وهناك عدة طرق للتربية العقلية منها التعليم بالقدوة، والتعليم بالوعظ، والتعليم بالمكافأة، والتعليم بالعقوبة. وهذه مهمة الآباء..

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته".

وقال: "إن الله سائل كل عبد عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته" (رواه النسائي وصححه الألباني).

وقال: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" (رواه البخاري).

* * *

التربية الروحية

لا يرقى الولد لإدراك ما يحيط به إلا بصحوة روحية وتزكية طاقاتها والاتصال الدائم بالملأ الأعلى إذ يعود الفرع لأصله، فمن خلال هذه الطاقات إذا ما دربت يعقد الولد صلة دائمة بين الأرض والسماء، وذلك بتأصيل الوحدانية بالله معرفة وحبًا وتقوى وطمأنينة.. ثم التعرف على سر الأداء التعبدي والوقوف في ساحة العبادة وإيثار ما يحبه الله على ما نحبه..

كل ذلك يمنح ضمانة نفسية وسكينة وطمأنينة وعزة ويجعل قلب الطفل معلقًا بالجزاء الآخروي.

نخلص من ذلك أن مهمة الولي تأديب وتعليم، وحفظ وحماية..

وفي الخاتمة حق الابن في أن يرث والديه وهو ما تفردت به الشريعة بحماية الأبناء في حياة آبائهم وحتى بعد مماتهم.

* * *

من واقع الحياة

مشكلة من المشاكل التي وصلتني بهذا الشأن رسالة تقول: أغيثيني يا سيدتي، إذ شاء الله ألا أحمل طيلة عشر سنوات، وفي اليوم الذي تزوج زوجي فيه بسواي علمت أنني حامل في الشهر الثالث.. إنه ينكر ذلك ويتهمني بالفحش ونحن والحمد لله مؤمنات من بيت طاهر.

أرجو أن توجهي إليه كلمة.

أقول: يا أخي سبق للمؤمنة أن عاهدت وبايعت فهل تزني المؤمنة الحرة. أرجو أن تتريث قبل أن ترميها ببهتان..

إياك أن تقع في الموبقات السبع ومنها قذف المحصنات وقذف محصنة يهدم عمل ألف سنة. فاحذر لقولك والذي ترفضه بلا بينة هو ولدك.

ومن حقوق الابناء الكسب الحلال الطيب..

مشكلة **تسالني سائلة:** أعلم أن زوجي يتعاطى رشاوى من خلال عمله، ولولاها لما استطعنا توفير ضرورات المعيشة لأولادنا، فما حكم الشرع؟

وأقول لها: يا عزيزتي، علمك بالحرام مشاركة فيه طالما لم تحاولي منع زوجك بالحسنى لصرفه عن هذا السلوك الذي لا يليق بمن يحظى بشرف الانتماء إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

فالرشوة نفع ضمن الكسب الحرام فتقع تحت طائلة الحديث الشريف..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[المؤمنون:٥١] ، **وقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة:١٧٢] ، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟"** (رواه مسلم).

ولا أحب لأخت مسلمة أن تحل حرامًا وتعلل الأسباب، فالحلال بين والحلال بين.

وقولك لولاها أي الرشوة لما استطعنا توفير ضرورات المعيشة إصرار وقبول معلل لسلوك مرفوض شرعًا.

فهي سلوك اجتماعي واقتصادي مرفوض شرعًا يؤدي شيوعه إلى فساد الأمم إلا في حالة الاضطرار.

وهنا تتساوى مع المحظورات الشرعية من مطعم ومشرب وإكراه..

فكيف بالله أجعل قوت أولادي وقفًا على ما يضطر إليه أهل الحوائج؟! ونسينا في غمرة النشوة بالكسب السهل الحرام أن ضوابط شرعية علمنا الرزاق أن نلتزم بها من ذلك كثرة الاستغفار إن ضاقت

الأرزاق كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح] ومنها السعي في طلب الرزق الحلال كما في قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:١٥] .

تسألني سيدة فتقول: توفي زوجي ولم أزل في الشهر الرابع من حملي، ولي ثلاث بنات، حماتي تصر على تقسيم التركة، فهل يحق لها ذلك؟

يا بنيتي حفظك الله وسلمك وأعانك على ما أنت فيه..

أما بخصوص تقسيم التركة وأنت في حالة حمل فقد أثر إجماع على أن الأصل عدم تقسيم التركة حتى تتم الولادة، بشرط موافقة الورثة صراحةً، أما وقد طلبت أم الزوج المتوفى حقها في الميراث فيجوز إعطاؤها نصيبها كاملاً وهو السدس، إذ إن نصيبها الشرعي في الميراث لا يتأثر بالجنين ذكرًا كان أم أنثى، أو كان حيًا أم لا قدر الله غير ذلك، وعليك التعجيل بذلك إرضاءً لروح زوجك.

وفي التأجيل إلحاق مضرة بها من غير ضرورة، خففي أحزانها فلعلها تؤدي بالمال فريضة الحج أو تقوم بعمرة تثلج صدرها.

* * *

النساء شقائق الرجال

النساء شقائق الرجال

يدعو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منذ ميلاد بعثته في أوائل القرن السابع الميلادي إلى تحرير المرأة، واعتبارها شقيقة للرجل في زمن كانت تناقش فيه قضية خلق المرأة: هل هي تنتمي إلى روح الإنسان الخالدة أم أنها من فصائل الحيوان الراقي؟ بل قرر أحد المجامع الرومية "أن المرأة لا روح فيها ولا خلود" إلا أنها تصح منها العبادة، وعليها الخدمة للسيد المطاع بشرط أن يكمم فاهها كالكلب العقور لمنعها من الحديث حيث إنها أحبولة الشيطان..

وأخيرًا صدر العفو عنها فقرروا بعد طول جدال صلاحيتها لأن تحمل شرف الانتماء إلى الجنس البشري، غير أنها ما خلقت إلا لأجل عيون الرجل، وقد صدر هذا القرار عام ٥٨٦م أي بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة سنة..

ثم ظلت حتى آخر القرن السابع عشر الميلادي رحمًا بنبت النسل، وقد أهدر لها كل حق فلا إرث ولا رأي ولا اعتبار.

ثم يأتي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم محرر المرأة ليعلن للدنيا قاطبة ميثاق الحق فيتلو على البشرية كلها آيات من الذكر الحكيم نستجلي منها حقيقة النشأة الواحدة.

الشهادة الأولى: يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرات].

الشهادة الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١] .

الشهادة الثالثة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩].

الشهادة الرابعة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران:١٩٥].

الشهادة الخامسة: قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما النساء شقائق الرجال".

والكتاب الكريم مليء بالشهادات والإقرارات التي لا تُحصى.

مبتدأ التكريم للمرأة في الإسلام أنها أول صدّيقة برسالة الإسلام والسلام، ولم يكن ذلك عبثًا فقد اختير محمد صلى الله عليه وسلم لمهمة البلاغ، واختيرت المرأة لترتقي مقام الصديقة، ولتهيئ له دواعي السكون الروحي والسكن النفسي والعقلي والبدني، ولتعزز وتفسر مقصود اللفظ القرآني "الصاحب بالجنب"..

فهي الرفيق المشارك في إرساء الركيزة الإيمانية والدعوية.. ولن ننسى أثر مقولة السيدة خديجة رضي الله عنها للرسول الكريم عندما روّعه الوحي: "أبشر يا محمد واثبت ولن يخزنك الله أبدًا.. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر"..

فكن دائمًا القابل المستجيب للداعي، والمؤثر أيضًا، فلم يكن عجبًا أن يهاجرن بدينهن إلى الحبشة، وأن يكون لإيمانهن أعظم الأثر في نفوس الرجال.

فالذي دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الإسلام امرأة، ونحن نعرف مَن عمر بن الخطاب في الجاهلية.

ومن تكريمها أيضًا أنها شريكة في المهمة الدعوية، فنجد سيدات بيت النبوة كن دائمًا وأبدًا مستودعًا لأصول الكلمة الطيبة.

فما حدّث محدث بأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ورجع فيه إلى أمهات المؤمنين.

ومن تكريمها أنها كانت دائمًا وأبدًا موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم لرجاحة عقلها وفهمها الواعي المدقق لأمور قد تغيب عن الرجال.. فكان يشاور المرأة ويعمل بمشورتها، ولهذا لُقبت إحدى زوجاته بمستشارة الرسول صلى الله عليه وسلم.

تكريم المرأة بوصفها أمًا:

بدأ بتكريم معنوي للأرحام دون النظر لذوات وطبائع، فالانتماء للأرحام وحدها يعيد سببًا موجبًا للتكريم والإحسان، يقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

وأخرج الحاكم وصححه عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله"**.

ويقول تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ [محمد:٢٢].

هنا نلمس ربطًا جذريًا بين الإفساد في الأرض وقطع الأرحام؛ فقطع الأرحام من علامات الإفساد في الأرض.

ثم جاء ذكر الأم بوصفها الظاهر لينقل لنا صورة شاخصة لما تلاقيه من هوان وألم يستدعي النظر والتأمل ويوجب البر والرعاية.

يقول تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف:١٥].

ويقول أيضًا: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ [لقمان:١٤].

ثم يأتي الأمر بالإحسان إليها، فذكر الإحسان بالوالدين في خمسة مواضع من الذكر الحكيم.. نذكر منها:

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨].

ثم يكرم الأم الصالحة تكريمًا خاصًا بمنحها الولد البار.

يقول تعالى على لسان عيسى ابن مريم: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم].

ويقول: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم].

ويأمر ببرها ورعايتها والسهر عليها، ويرتب لها النفقة، فإن توفي ولدها جعل لها نصيبًا متميزًا في الإرث حتى لا تسأل الناس بعده.

تكريم المرأة بوصفها ابنة:

أمر المشرع برعاية الأبناء، ولم يفرق بين ذكر وأنثى، بل أوصى بالنساء مرارًا لرفع ما بقي من آثار الجاهلية بشأن قبول المرأة.

ذلك الأمر الذي عبر عنه القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

فأمر بحسن استقبال المولودة الأنثى، واختيار اسم طيب لها، وأن يعق عنها، وأوجب حقها في الرضاعة والحضانة والولاية والتربية والتعليم، وأمر بالمساواة في العطية بينهما بل وتفضيلها إن اقتضى الأمر.. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع: "سَوُّوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ مُؤْثِرًا أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ لآثَرْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ" (رواه البيهقي).

كما أوجب صلى الله عليه وسلم على ولي الأمر مشاورتها عند تزويجها ومشاركتها في اختيار الأكفأ، وأجاز للرجل أن يخطب لابنته من يراه على هدى وصلاح في قالب من الاحترام والآداب الإسلامية، كما فعل سعيد بن المسيب التابعي الجليل الذي خطب لابنته ابن أبي وداعة لتقواه برغم ضيق ذات اليد وبرغم أن ابن عبد الملك بن مروان قد جاء خاطبًا لابنته قبلاً.

تكريم المرأة بوصفها زوجة:

كفى أنها صاحبة الاختيار في الزوج، فالزواج في الإسلام شركة رأسمالها الحب ودعائمها المودة والرحمة وحسن العشرة.

لهذا يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم:٢١].

وقال أيضًا: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:٢٢٨].

وهناك أمر بالمعاشرة بالمعروف، وأمر بالإنفاق عليها ورعايتهـا نفـسيًا وجسديًا.

فإن للرجل الطاعة، فالطاعة تزاملها المشاورة في إطار من الود.

* * *

من واقع الحياة

سيدة تقول: أنا من أسرة ثرية جدًا ولها كيانها في المجتمع ومكانتها وسمعتها، تزوجت وفشلت. الآن التقيت بالرجل الذي أراه مناسبًا من كل وجه فهو طبيب معروف لكنه تزوج وطلق أكثر من مرة، فاشترطت عليه أن تكون العصمة بيدي، فهل ذلك الشرط يعد مخالفًا للشريعة؟

وأقول لها: "المسلمون عند شروطهم" كما جاء في الحديث الشريف، فلك أن تشترطي ما ترينه مناسبًا في مجلس العقد شريطة رضا الطرف الآخر، وشريطة ألا يخرج عن شرع الله.

لكن التفويض بالطلاق إن كان بصيغة مطلقة كما لو قال ولك الحق في أن تطلقي نفسك متي شئت فلها ذلك، أما لو كان التفويض مقيدًا بزمن جاز لها أن تطلق نفسها في هذا الزمن لا في غيره.

والتفويض بالطلاق لا يحتاج إلى نية، أما لو قال بيدك فيحتاج القول إلى نية وعليه القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩.

* إن كان التفويض بالطلاق للزوج قبل العقد كأن قال إن تزوجتك فطلقي نفسك متي شئت.

* ويجوز أثناء العقد كما لو قالت زوّجتك نفسي على أن يكون أمر الطلاق بيدي أطلق نفسي متى شئت فقال قبلت ثم عقد الزواج وصح التفويض ولا ينفذ.

* إذا قال الرجل طلقي نفسك كلما شئت ليس لها أن تطلق نفسها ثلاثًا بل لا تعرف الثلاث لأنه لا يملك إلا واحدة فلا يستطيع أن يملك غيره ما لا يملكه والتفويض لا يمنع الرجل من أن يطلق زوجته فحقه في الطلاق محفوظ.

تزوجي على بركة الله.

* * *

العلاقات الأسرية الحميمة

العلاقات الأسرية الحميمة

حرص الإسلام على رعاية الأسرة، ووضع الضوابط التي تضمن لأفرادها حياة مستقرة هانئة، فراعى في مرحلة الاختيار التوافق بين الزوجين الروحي والنفسي والتكافؤ الاجتماعي والثقافي والعمري حتى لا يأتي الأب بأم يُعير بها الأبناء، أو تأتي الأم بوالد يشقى به الأبناء.

ومن فقه قول الحق: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾[الروم:٢١].

أدرك أنه سيرزق بحسب نفسه الأمارة أو اللوامة أو الملهمة أو المطمئنة أو الراضية..

وكم رأينا زوجين كل واحد منهما يكمل الآخر كأنه جزء منه.

فما بالك لو كان الالتقاء بين متماثلين في الخلق والإيمان؟

فحتمًا تحفهما الرحمات ويظلهما التوفيق، ويرسل لهما الحق إمدادًا من المودة والرحمة..

فالشريك الصالح مطلب الأصفياء، يقول تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان].

هذا وقد عرف الإسلام قدر الأسرة باعتبارها الخلية الأولى في جسم المجتمع إذ في نطاقها يربى الأبناء ويلقنوا السلوكيات والتقاليد واللغة، ومن خلالها تتحدد معالم شخصية الأبناء، وتصاغ عواطفهم واتجاهاتهم وآمالهم وطموحاتهم..

وبهذه المعارف والسلوكيات يتمكن الولد من مواجهة المجتمع بتبعاته والتزاماته، فقوانين الأسرة وإطارها العام صورة مصغرة من قوانين المجتمع.

وعن طريق الأسرة يعرف الأبناء البر والرحمة وصلة الأرحام ويلقنوا تعاليم الإسلام.

بل وعن طريقها تترتب لهم حقوق مادية ما بين نفقة وميراث.

والإسلام يرعى الأبناء وهم أجنة في الأرحام، ويجعل لهم حقوقًا من يتأملها يعجب من هذا النظام المهيب فلهم حق في الإرث ولهم كل الاعتبار في النفقة وجعل محبة الأبناء فطرة في النفس، بل جعل البنوة من أعظم النعم في الدنيا والآخرة..

يقول تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ [الرعد:٢٣].

والإسلام يقدر عاطفة الأمومة خاصة، فبيّن في قرآن يتلى ما تتكبده الأم من مشاق، ولهذا نهى القرآن على مضاراتها بولدها ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾[البقرة:٢٣٣].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فرّق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» (رواه الترمذي)..

ثم أمر الوالدين برعاية الأبناء والحرص على إعدادهم روحيًا وعقليًا..

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: "من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب، ومن أدب ولده صغيرًا سُر به كبيرًا".

* * *

من واقع الحياة

مشكلة

أمي الحبيبة.. أصبت بجلطة في ساقي تتحرك مع كل ولادة والآن لدي من الأطفال ثلاثة ذكور وبنت، والحمد لله على ذلك، وبرغم تحذير الأطباء إلا أن زوجي يصر على حملي من جديد ليكون لابنتي أخت فهل يجوز استعمال مانع دون علمه حفاظًا على صحتي ومنعًا للمشاكل فهو على الرغم من حبه لي وللأطفال إلا أنه عنيد، فماذا أفعل؟

يا حبيبتي يقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] .

وعندما يخبر طبيب ثقة زوجك أن حالتك الصحية لا تحتمل قطعًا سيقتنع مع الوقت، أما الموانع الخفية فهذا أمر لا أحبذه فالخط المستقيم أقصر الطرق.

مشكلة

مشكلة أخرى تمثلت في زوج يذكر أن زوجته تصر على تواجده معها أثناء إجراء عملية الولادة القيصرية، ويسأل: هل رفضي يعد إخلالًا للمعاشرة بالمعروف كما تقول؟

واقول: يا ولدي يكفي أنها تطمئن برفقتك وتشعر بالسكينة معك، فتجد فيك مؤنسًا ومخففًا لأوجاعها وآلامها، بل إنك بصحبتك لها

في هذه اللحظات العصيبة تستشعر بما تعانيه من آلام فتقدر ذلك ولا تستهين بدورها كما يفعل البعض، بل تقدر دور أمك وما أحوجها لك الآن لترد لها الجميل فما دام الأمر فيه إسعاد وراحة نفسية فهو من أبجديات المعاشرة بالمعروف.

وأخرى تقول: من فضلك يا أمي أريد أن أعرف هل حب الزوج لزوجته امتلاك أم عطاء زوجي، فزوجي يحبني بجنون لكنه حب عجيب الأطوار، فيعتبرني جزءًا منه كذراعه، أو رقبته، أو عينه أو قلبه، هكذا يقول..

والنتيجة أنه يعاملني كما يعامل نفسه فهو يؤثر أولاده وأهله وأصحابه، وأنا آخر من تجاب مطالبه! آخر من يتحدث معه، وإن عاتبته ينظر باستغراب كأنني مخلوق من كوكب آخر ويقول متعجبًا: وهل لعيني وقلبي طلبات! فأعظم تكريم أنك مني.

لقد احترت، ربما أكون على خطأ، إنه يرجوني أن أرقى إلى هذا المستوى من الحب، فهل ابتلع شكواي لعلي أرتقي كما يقول أم ماذا؟ دبريني.

وأرى أن الحب عطاء تبادلي فهو امتزاج روح والتقاء قلوب، أما الحب الذي بلغ درجة الخليلية فهذا شأن رفيع صدق فيه قول الشاعر: حتى ظننت أنك أني

إن الإنسان يحتاج إلى قلب يأنس به وونيس وصاحب والمحب يدرك معنى الإيثار ويدرك مفهوم العطاء فالحب عمل خدمي، متعة في العطاء،

وعوالم النبات والطيور كلها تمتثل لأمر فاطرها.. فهل يمتثل الإنسان لما امتثلت إليه جميع المخلوقات؟!

مشكلة

تسأل سائلة: ما الذي تعنيه المودة والرحمة والرجل ينظر إلى التي كبرت سنها على أنها عبء ثقيل بل ويتحسر على الشباب الذي ولى..

أريد كلمة لزوجي الذي أصبح جدًا كي يتعقل ويدرك متطلبات الرحمة.

أقول: يا عزيزي، قد تخرج المرأة عن محل الشهوة بكبر أو مرض، ويبقى قيام الزوج بها وحبه لها ورعايته إياها.

وكذلك الرجل قد تذهب عافيته ورغباته ويجد المرأة رهن إشارته تجد في خدمته وتسعد في السهر على راحته، ولن تكون هذه أو تلك إلا بعض مقتضيات الرحمة التي لا تعرف اعتبارات الحسن والجمال والشباب والصحة وإنما لها لغتها الأعم والأشمل.

وقد تجد بين زوجين من التراحم والمحبة ما لا تجده بين ذوي الأرحام ثم تتوالى ثمرات الرحمة في صلة الأرحام فلا تفرق بين أصولها وأصوله وبين أرحامه وأرحامها وما ذلك إلا لتعلق الشريكين بالله، وما كان في الله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل، وفي الحديث: "رحم الله رجلاً قام في الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء" (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه).

مشكلة

سائلة تسأل: أشكو من زوجي الذي لا يكف عن الشجار معي ويسيء معاملتي أمام الأبناء والمصيبة أنه خرج على المعاش، وليس له صاحب الآن.

لقد انقطع عنه بعد المعاش كل من كانوا يترددون عليه خوفًا ورهبًا بل وجرد من امتيازاته التي ساعدته كثيرًا في الظهور بمظهر أصحاب النفوذ وأصبحت الحياة لا تطاق معه، ولكن كبرت سني وليس لي مورد رزق..

دبروني ماذا أفعل؟ مع رجاء توجيه رسالة له ولأمثاله وخاصة أنه يحترم رأيك ولك جزيل الشكر.

أقول للزوج الذي لا يشعر بالنعمة التي بين يديه، ولم يفقه الحقيقة الآكدة بأن النعم تزول بالمعاصي وتدوم بالشكر، وإن كثرة الإساءة لزوجتك وللصاحب بالجنب ولأولادك يحرمك من أنس المحبة الصادقة، وأظن أنك الآن في أمس الحاجة إليها.

وكان الأحرى بك أن تعتبر بعد زوال المركز المرموق، وبعدما انفض الصحب من حولك، فالمعلوم أن لكل منا بصمة وجدانية يتركها عند الآخرين قد تدفعهم إلى الوقوف بجواره ورعايته والترحم على أيامه، أو قد تدفع ذاكره إلى النفور من مجرد تذكره. وقد يختلف الأمر بحسب ما تركه من أثر قد يبلغ درجة الإعاقة النفسية المستديمة، اعقل أيها الأخ الكريم المعنى الجليل لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

احذر يا أخي مغبة سوء معاملتك لزوجتك وأولادك حتى لا تدفعهم إلى كراهيتك، ولن يذكرك أحد بالترحم عليك إن وافتك المنية.

استغفر الله يا أخي، وعالج أمورك بكياسة وحكمة حتى تحظى ببعض الألفة خاصة وأنت في حاجة إلى من تعينك على الأيام.

تذكر الكلمة الطيبة في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾[النساء:١٩] تذكر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم «المتسابان شيطانان يتعاويان» (رواه أبو داود وأحمد).

وقد آن الأوان لكل زوجين متشاجرين أن يحسنا الصحبة.. وأن يسارعا إلى مرضاة الله.. آن لكما أن تحولا النظر عن أمور الدنيا الصغيرة ولتتهيآ للقاء الله.

عليك يا أخي أن تبدأ حياة جديدة مع زوجتك فتصحبها لأداء العمرة، وتشربا معًا من ماء زمزم.. ولتراجع نفسك سريعًا فتنعم بحسن الصحبة والبراءة من الظلم والتجبر، ولتتذكر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (رواه مسلم) وقد نحتاج إلى من يواسينا ويقف بجوارنا حين اشتداد المصائب..

مشكلة **جاءتني رسالة تقول: أنا في كرب شديد، أسأل الله أن يخفف عني، فقد توفي والداي إثر حادث، وفجأة خلت الدار منهما وتحولا إلى لوحة على الجدار..**

وللأسف كان والدي قد نوى الحج ولم يحج لأنه مشغول بالمصنع الجديد، الأشياء الصغيرة والكبيرة أمامي.. مفتاح السيارة الجديدة، عقود العمال.. أصناف ملونة من العينات.. ثوب أمي الذي أحضره المعرض العالمي.. كل شيء ضاع في لحظات ولم أعتد مفارقتهما أو النزول ضيفًا عند آخر..

أرجوكم أرشدوني كي أتحمل هذا البلاء، عقلي يكاد أن يذهب لولا الدعاء والرجاء.

وأقول للسائلة: ليس لنا إلا أن نقول لله ما أعطى ولله ما أخذ، وإن لكل أجل كتابًا.. ولا نملك إلا أن نصبر ونحتسب، والصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى، والصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.. الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقد ورد في القرآن في تسعين موضعًا، وهو نصف الإيمان لأن الإيمان نصفه صبر ونصف شكر، يقول الحق تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة]، ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧].

وقد أثنى على أهل الصبر فقال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾[البقرة:١٧٧] ومن صبر وجب على الله محبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال].

وأهل الابتلاء إذا صبروا يضاعف لهم الأجر بلا حساب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزُّمَر] ومن صبر يمنح دار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[الفرقان:٧٥] و ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[الرعد].

وأنواع الصبر ثلاثة: صبر بالله ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] ، **"إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"** أي الاستعانة بالله.

وهناك صبر لله، أما الصبر مع الله بالرضا بكل ما يأتي به وهو أفضل الصبر.

والصبر على البلاء لكي نمكن من الصبر على البلاء، لابد من مطالعة حسن الجزاء، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكثر الناس بلاءً هم الأنبياء ثم الصالحون..

الصبر من اسمه، فذق مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل، هذا وقد أجمع عقلاء الأمة أن كل نعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من صاحب الراحة

فارق الراحة في وقت الراحة في دار الرحمة، وفي الأثر "أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته، فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك".

* * *

عندما ينشز الرجل
وعندما تكره المرأة

عندما ينشز الرجل وعندما تكره المرأة

قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨].

على أن النشوز المذكور في الآية الكريمة قُصد به أحوال خاصة تتعلق بالزوج في مرحلة معينة وذلك عندما يبغض زوجته في مرحلة ما قبل طلاق متيقن من قِبله.

بينما المرأة ترغب في الحياة عنده، وحمل اسمه لمباشرة أمورها أو تربية أولادها أو حمايتها والحفاظ عليها..

وهنا لم تمنع الشريعة الزوجين من الاتفاق على أمر يجعل الرجل في حِل من بعض موجبات الزوجية سواءً كانت نفقة أو مبيتًا إلى غير ذلك، ويحمى المرأة من تبعات الطلاق، فهي تنازلات تقدمها راضية من أجل البقاء على مظهر الزوجية وكنف الزوج.

والنشوز أو الإعراض من العوارض التي تصيب الزوج.

وبالرغم مما عدّده الفقهاء من أسباب حول نشوز الزوج، والتي تعتمد اعتمادًا كليًا على خصوصية سبب نزول الآية، إلا أنني أرى رؤية أخرى استقيتها من خلال معايشتي لبعض النساء تحققت بهن أوصاف خاصة، حيث رأيت حكم الله يطبق بطريقة طبيعية وتلقائية دون الشعور بأدنى

استفزاز لمشاعر المرأة أو امتهان لحقها عليه في العشرة بالمعروف، التي لا تتضح معالمها إلا في الكبر. ومنها:

الزوجة العقيم.. فعندما تتأكد المشيئة الإلهية من حرمان زوجة من منحة الأبناء وتمر الأعوام باردة بين الزوجين، وتلمح تعريضًا وتصريحًا ببوادر رغبته في الاقتران بأخرى، إلا أنه يخشى عدم القدرة على العدل لضيق ذات اليد، فيفكر في مفارقتها كارهًا.

ترى أي الحلين أفضل، أن يطلقها بعد طول عشرة أم تتنازل راضية عن بعض حقوقها كي تظل في كنف الزوج؟

الزوجة التي اقعدها المرض، وفقدت القدرة على استكمال مسيرة الحياة الزوجية فتطلب من زوجها أن يتزوج بأخرى تقديرًا لصبره عليها، وتتنازل لها راضية عن حقوقها في مقابل الإبقاء على وصائل المودة والرحمة بينهما.

الزوجة التي كفرت بالعشير وبينهما أبناء فقد تسيء المرأة إلى زوجها وقد تُقدم على ارتكاب ما يؤثر على قدسية الحياة الزوجية فتقطع حبائل المودة والرحمة وتدفعه إلى النفور منها إلا أنهما يتفقان على أن تتنازل عن حقوقها الشخصية مقابل بقاء الزوجية من أجل الأبناء.

إن ما ذكر ومثله كثير يجعل الأمر المذكور في الآية الكريمة هو الطريق الأسلم لحل المشكلة وبخاصة أن هناك آيات أخرى تحرّم على الرجل أن يأخذ من أموال زوجته شيئًا أو ينتقص مما أعطاها.

وقد يأخذ النشوز عند الزوج أنماطًا أخرى.. وكما أن النساء لهن طبائع متفاوتة فكذلك الرجال.. فمنهم المؤمن السوي الذي يرعى حق الله في أهل بيته متأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من توافرت قناعته بأنه لكي يكون مهيبًا قوّامًا فعليه أن يجسد شخصية السيد أحمد عبد الجواد (كما في قصة بين القصرين) فلا يخفض صوته ولا يمازح أهله، وليجعل حضوره بينهم رهبة وغيابه مسرة منفذًا لظاهر الحديث **"علقوا السوط حيث يراه أهل البيت"** (أخرجه أبو نعيم في الحلية).

ونقول لهذا الصنف من الرجال: لقد جانبت الصواب يا أخي.. فقد تقنّعت بما يخرجك عن طبيعتك وعفويتك بل وراحة نفسك ومن أحق بها ممن تأمنها على مالك وولدك وفراشك، فأنت القوام بحلمك وعطفك، أنت المهيب برغم وداعتك وتفكهك مع أهل بيتك، وقدوتك الصالحة، وسمعتك الطيبة في البيت وخارج البيت..

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أسوة.. فعندما سئلت السيدة عائشة عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: **"كان ألين الناس بسامًا ضحاكًا لم ير قط مادًا رجليه بين أصحابه، وعنها ما كان أحد أحسن خلقًا منه ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال: لبيك"**.

ومنهم من لا يعف زوجته.. فإن قلنا إن هناك الزوجة العاصية لتمنعها، فما قولنا في الزوج الذي لا يعف زوجته، ولا يسعى إليها سواءً أكان ذلك الامتناع مع القدرة (رغبة في مضايقتها) أو عدم وجودها أصلاً فيه..

ومعلوم أن هذه قطيعة حرّمها الله بغير عذر مبيح من مرض طارئ أو كبر، وإن إعفاف الزوجة من أدق الأمور المتصلة بالزواج إذ يغلبها الحياء أن تشكو أمرها إلا لخالقها، لهذا أوجبت الشريعة على من لا يملك القدرة على تحصين زوجته ألا يقبل الزواج أصلاً أو يخيرها بعد مرور عام على الزواج وقد تيقنت من استحالة المعاشرة الزوجية فلعلها تؤثر الحياة معه بالرغم من ذلك.

كما يجوز لها طلب فسخ النكاح إذا كان به عنة أو إن غاب عنها أمدًا، أو إن هجرها عامدًا، وذلك بشروط معلومة في الفقه ليس في ذكرها مجال الآن.

ومنهم من قتر في الفقه عليها مع القدرة، وهذه خصلة ذميمة، وقدح في الرجولة، وعيب في الشخصية، وقبل ذلك وبعده منافية لحكمة الله في وجوب الاتفاق على من احتسبت لأجله، وإلا فأين هو من قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق:٦].

وعن عائشة "أن هندًا قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف" (رواه الجماعة إلا الترمذي).

وعلى المرء أن يدرك أنه ببخله واعتزاله مباهج الدنيا المشروعة مع القدرة، وحرمانه زوجه وولده من حياة اليسر أنه يورث أهله بغضه وتعجل منيته فيعيش عيش الفقراء، ويموت ميتة الأغنياء، إذ إن حفل تأبينه هو الحفل الوحيد الذي أقيم له..

أما ورثته من زوج وولد فهم لا يكتمون فرحتهم بما حُرموا منه زمنًا، فينفقون سفهًا ولهفًا، وربما أوقعهم المال في شرك الخطايا، وقد ينسون في غمرة فرحتهم بما آل إليهم أن يقرءوا على روحه الفاتحة:

فيا جامع المال لغيره أتحظى بشر كسبك ويحظى سواك بخيره

وأذكر هنا موعظة للإمام علي - رضي الله عنه - عن الرجل الذي عاش طيلة حياته يجمع المال وعندما وقف ليلتقط أنفاسه وافته المنية عند قصوره ونسائه وأمواله، فزار رفيقه في الرؤية مستفسرًا عن حال ما ترك فقال له: أما القصور فقد سُكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وأما النساء فقد نكحت.. فلو سمح لهم بالكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى.

بقي ان نقول: إن الامتناع عن النفقة وما يترتب على ذلك من مضرة يعطي المرأة الحق في اللجوء إلى القضاء حيث يؤمر بالإنفاق، ويُجبر على ذلك بل قد يأمر القاضي بحبسه إن غيّب ماله، فإن صبر على الحبس، وغيب المال فلها أن تطلب الطلاق، ويخيره القاضي بين التفريق أو الإنفاق على أرجح الأقوال.

على أنني لا أستحسن اللجوء إلى القضاء إلا إن تمادى الزوج في إثمه وامتناعه عن الإنفاق، وعلينا أن نراجع أنفسنا ونتأسى بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

* * *

من واقع الحياة

مشكلة ومن عجيب ما وصلني بهذا الشأن تلك الرسالة: أمي الحبيبة تزوجت منذ عام، وسافرت مباشرة بعد الزفاف، ففي الحقيقة لم أعرف معنى الزفاف فمنذ اللحظة الأولى طلب مني أن أخرج من الغرفة لأنه لم يعتد أن يبدل ثيابه أمام أحد.

تعجبت وانتظرت في الخارج بفستان الفرح، فعلى حد معلوماتي من السينما إن العريس المفروض يساعدني في خلع الطرحة والفستان، وانتظرت أكثر من ساعتين حتى كدت أختنق من الحر فأنا في صالون صغير ملحق بغرفة في الأوتيل.

وبصراحة فإن الفستان والحذاء والمشدات ساهمت في ضيق نفسي في كل لحظة أتصور أنه سيطل علي بالبيجاما والروب لكن الوقت طال.. قلت ربما أصابه مكروه ففتحت الغرفة مسرعة استجابة طبيعية لهذا الخاطر، للأسف وجدته نائمًا في سابع نومة.

ومن أول يوم فإن السيناريو الذي تصورته منذ صباي أصبح في خبر كان، فكل يوم قصة أغرب من الخيال حيث يدعي مثلاً أنه أصم أو يمشي وهو نائم أو متزوج بجنية.

وبعد عام من الأهوال عرفت أنه مريض نفسي وغير قادر على المعاشرة الزوجية، وقد تزوج مرتين قبلي وخرجتا قبل أن يُدخل بهما.

أنا الآن أكاد أجن، الوالد يرفض قصة الخلع لأنه أنفق للأسف مهري وزوجي من أهل السطوة، فهل ما يحدث لي يرضى عنه ربي، أستحلفك بالله انظرى لمشكلتي.

وأنا أقول مرارًا يا بنيتي، الزواج ليس صفقة أو مغامرة لأنه عِشرة ومستقبل وأطفال ومعايشة..

لهذا لابد أن تكون القناعة قوية، وكما ندقق في اختيار صديق لبعض الوقت فكيف نغض الطرف عن غريب يصبح بعقد الزواج مقيمًا ملازمًا له سلطة وله حقوق ويؤول إليه ميراثي أحيانًا لكن يبدو أنه لم يكن لك اختيار في الأمر كله وهذه مصيبة أكبر.

أغضبني أيضًا هذا المنظور السطحي للزواج فالمعلومات مستقاة من السينما وأفلام الدرجة الثالثة، لكن يبدو أن المحنة أحالت الهشاشة الحياتية إلى تجربة مريرة استطعتِ بقلم الألم أن تكتبي صفحات صادقة أجدت فيها التعبير عن نفسك.

يا بنيتي فلتكن لك وقفة فورًا مع هذا العبث ولن يضار والدك والمفروض أنه الأرحم بك، فحالتك يفصل فيها القضاء سريعًا ولك الحق في الطلاق للضرر لعيب الزوج ففي القانون أن الزوجة إن تزوجت ولم تعلم بالعيب قبل الدخول عليها أو علمت به ولم ترض فلها الحق في طلب التفريق.

مشكلة

وأخرى تشتكي بقولها: زوجي يجبرني على الجلوس معه لمشاهدة الأفلام الإباحية، وللأسف لا يقربني إلا إذا شاهد هذه الصور المنفرة، وإن تعللت يخاصمني بالشهر، إنني أخجل من أولادي، فكلهم في سن حرجة، ماذا أفعل مع هذا الزوج صاحب المزاج المنحرف؟

سيدتي سأخبرك بقصة لسيدة مع زوجها وهي مشابهة لقصتك حيث كانا يشاهدان مثل هذه الأفلام ويحكمان بعد ذلك غلق الباب إلا أن الأبناء لاحظوا ذلك فدفعهم الفضول لمشاهدة ما يخبئه الآباء وبينما كان الوالدان في عملهما أصر الشقيقان الصغيران على ممارسة ما يشاهدانه وداوما على ذلك، وكانت البنت في الحادية عشرة والولد في الثالثة عشرة، وذات يوم عاد الوالدان على غير عادتهما فراعهما ما شاهداه..

إننا لسنا وحدنا، فما دمنا حملنا مسئولية الأبوة فعلينا أن نقوم بالدور الرعائي على خير وجه إعمالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته".**

أما مشاركتك في مشاهدة الحرام فلن أزيد عن عرض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا**

محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه" (متفق عليه)..

فحاولي منعه بإصرارك على موقفك وغيري من حالك بملابس وعطور ليرى زوجته العفيفة الطاهرة ولا يرى سواها.

مشكلة

وهناك من تسأل: زوجي دائم السفر وحتى عندما يعود لا يفكر في الالتقاء بي، لقد ضقت ذرعًا من الهجر.. فما رأي الشرع في ذلك؟

ورأيي أن الشرع يا بنيتي أمر الرجل بالحرص على عفاف زوجته، فربما غلبها الحياء عن طلب حقها وربما كان متزوجًا بأخرى بل جعل ذلك في مرتبة القرب والصدقات.. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وفي بضع أحدكم صدقة".

وها هو معلم الأمة يصرف الرجل عن العبادة لما رآه يقصر في حق زوجته، وذلك عندما قال عليه أفضل الصلوات وأجل التسليم لعبد الله بن عمر لما رآه يكثر من الصوم والصلاة: «بات لزوجك عليك حق».. لهذا قضى أكثر أهل العلم أن الزوج لو ترك زوجته وسافر لغير عذر أكثر من أربعة أشهر (وقيل ستة أشهر) لزمه القدوم إن أرسلت في طلبه وتطلب ذلك من القاضي فإن راسله وامتنع فرق بينهما بطلبها خشية أن يلحقها ضرر.

لماذا هجرت السعادة عش الزوجية؟

لماذا هجرت السعادة عش الزوجية؟

اللهم اكفنا شر الأصغرين، قيل: وما الأصغران؟ قيل: القلب واللسان..

وسمي القلب لأنه القَلوب يقلبه الله حيث يشاء.. ومن حب وبغض، ومن غضب وتسامح.

أما اللسان فلأنه فوهة القلب، ومَعْبر العبارة المختزنة والشعور الكامن.

والمرأة تتنسم الحياة بمشاعرها القلبية، حيث تسري في أوداجها دفقات الحنان، تلك التي تجعل معيار سعادتها عاطفة مستقرة في وجدان شريك قوّام تحتمي به، وتسعد في رحابه، وتفخر به أمام لداتها، فهو موضع احترام وتقدير.. من هذه الركيزة المستقرة يتواصل عطاء المرأة، ويتجدد الدم في عروق الليالي، فلا تتقاذفها ريح عقيم، ولا يعتريها الوهن، ولا تؤثر في فؤادها أنات الليالي، ما دام القلب عامرًا بالحب الصادق، الذي أمّنه الرحمن بمدد من نفحات الرحمة، وديمومة المحبة.

أما عندما تفقد المرأة في كنف الشريك والقائم واحدة من هذه المهام يتسرب الوهن إلى نسيج المحبة، ويتحول "الدانتيل" الرقيق في ثوب الزوجية إلى ثقوب تتكشف بها العورات، فتجهض علقة القبول من رحم المحبة، وتسكن عناكب الملل والنفور في الدم المتخثر المتحشرج في أروقة القلب.

وهنا لا تجد إلا امـرأة هـدمت في صـباها وغلقـت مـصابيح الـشباب والنضارة في مقلتيها، وتسللت الأنواء تعبث في كيانها فتـستوي الأشـياء في ناظريها، فالكراهية وجه قبيح بألف قناع، فهي عاصـية لا تطيـع أمـرًا لـه، وهي ممتنعة عن فراشه.

ولقد آثرت أن أقف على أسباب عزوف النساء عن "ديناميكية" الحياة الزوجية، والوقوف منها موقف غير المبالي، أو الرافض المستـسلم، فالأيـام فقدت رونقها والأعوام تتقاذف كلاً من الشريكين إلى يم لا مرفـأ لـه، ولا تزدهما الأعوام سوى شعيرات بيضاء توجت ليلهما الممتـد، وهـالات مـن دخان متبق من مسيرة قطار العمر ومزيد من الصمت والتـصبر مـن أجـل ولد جاء على حلبة الكراهية فجاء راكدًا باردًا، أو مـن أجـل الحفـاظ عـلى الكيان الاجتماعي، واسم العائلة التي أكلها داء التحنيط فـصارت كـالعهن المنفوش.

هن كارهات صامتات عازفات، وكفاهن حـديث الرسـول صـلى الله عليه وسلم: **"ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شـبرًا: رجـل أمّ قومًـا وهـم لـه كـارهون، وامـرأة باتـت وزوجهـا عليهـا سـاخط، وأخـوان متخاصمان"** (رواه ابن ماجه)..

وعندما قذفت بمقولتي المحذرة إلى بحيرة صمتهن الآسـن، خرجـت الكلمات الفوارة كأنها جذوة مشتعلة أبـدًا تزيـدها بـرودة الأيـام توهجًـا. فألقت كل واحدة منهن إلى مسامعي كل ما في جعبتها وتخلت واجترت من أغوارها عصفًا مأكولاً هرسته أفيال الـصمت، وخرجـت مـن لجـة المـوج الصاخب بشباك سخية الأحزان عظيمة الجذور..

وإذا بي أمام صنوف من الرجال، أهدروا كيان الأسرة، وأصروا واستكبروا استكبارًا، وأوصدوا الباب أمام كل الحلول المشروعة لعودة المودة في ظل إحسان العشرة.

فإذا بي أمام زوج شحيح بالكلمة الطيبة واللمسة الحانية يقطر على زوجه وولده، وإذا بآخر لا يعمد إلى إعفاف الزوجة وهو قادر على ذلك أو لا يقدر ويكابر، وآخر لا يرى الزوجة سوى شريك في الكسب والإنفاق قدرها مرهون بما أنفقت، وقد تناسى قول الحق: "الرجال قوامون على النساء".

ثم علق هذه القوامة على إنفاقه عليها كما في قوله تعالى: "بما أنفقوا من أموالهم"!

ثم الزوج الذي يميل للأخريات ويكثر الحديث معهن وعنهن بينما لا تحظى زوجه منه إلا بالتأفف والعبوس، ثم الزوج الذي يسيء معاملة زوجته فيهينها ويجرح مشاعرها ويعيّرها بأمر ليس لها فيه يد.

وإذا بي أيضًا أمام صنف من النساء لم يتركن معبرًا واحدًا للتواصل والتصالح، من هؤلاء الزوجة العاصية لزوجها والممتنعة عن فراشه، أو التي تتطاول علية بالسباب والشتم أو الزوجة المتكبرة المتسلطة أو التي لا ترعى للزوجية حقًا وربما أسقطت حملها نشوزًا وإعراضًا.

كل هذه الأسباب وغيرها هي التي تجعل الافتراق أهم قرار مؤجل لاعتبارات عدة.

أفزعني هذا الكم الهائل من البيوت التي غلّقت على وعد بالفراق، لكم يضيع الإنسان أغلى سويعات العمر في غم وهم وكمد، وكان الأحرى أن نترفق بأنفسنا فالأيام بعض الإنسان، وأن نبحث عن الدواء الشافي لا المسكن الموضعي ولا البتر الكلي.

وأقول لك وأصدقك النصح لله لحظة بجوار الشريك وفي كنف أسرة متكاملة مستقرة هي أحلى ما في الوجود، ولا يشعر بقدر هذه القيمة العظيمة للكيان الأسري إلا من رزئت بمرارة التفرد واليتم والترمل. والحمد لله على كل حال.

لقد عشت أكثر من عشرين عامًا أنعم بحسن الصحبة والجوار، وكان زوجي رحمه الله نعم الحبيب والصديق والسند، كان ما بيننا يفوق شركة الإدارة والتربية والكسب. فقد عشنا معزوفة الزوجية الروحية في أطهر وأقدس نموذج.

ولا أذكر يومًا طيلة هذه الفترة أنني شعرت بالملل أو أن شوقي للقائه اليومي قد خبا وميضه أو أنني نسيت لحظة أنني في انتظار زوجي الصديق.

ولعل مقصودي بالاقتران الروحي أننا تمازجنا وتلاحمنا مع المعنى الراقي للمودة والرحمة وحسن العشرة، فكان الاحترام والتقدير دائمًا وأبدًا بيننا.

وكنت لا أجد غضاضة في أن أثني عليه أمام الجميع، وأعلن في كل مناسبة قدر فخري به فهو ممن شرف بصنع نصر أكتوبر، ولأنه خلوق حيي

مهذب، شهد له كل من التقى به فقد اكتفى بالعمل والصمت في ميدان الرجولة والعزة، وأبى محافل التكريم في حب وتسامح، ولم تقل أو تخبو بيننا دفقات المحبة والإخلاص والرغبة في إسعاد الشريك..

كنت أجده نعم الأب المعلم، وأنا أرتقي سلم النجاح.

وحين حصولي على الدكتوراه كان يتلقى التهاني كأنه صاحب المنح، وكان يسعد بكل ما أحققه من عمل في خدمة الأهداف الرفيعة، وكان رفيقي الذي يشد أزري في الملمات، وكم وكم احترم أحزاني.

كان بيتنا مرفأ لكل راغب في الكلمة الطيبة، فقد تلاقينا في ميادين الخير وسعدنا بأسرتنا الصغيرة وبناتنا الجميلات.

كنت رغم توالي الأيام لا أدخر جهدًا في أن أكون بين عينيه دائمًا وأبدًا نحيا في نعمة الرضا والقناعة ما دمنا معًا.

ولم نجعل للمادة كل هذا التقدير والتقديس، وبالتالي لم نحرص على ما أغنانا عنه الله فالمال لا يصنع سعادة وإنما الرضا والقناعة والتصبر مراعاة تلقائية لطاقات التراحم والتعاطف، ذلك المدد الذي لا تقف قبالته اعتبارات الحسن والشباب والصحة.

كان كل منا يرى الآخر أنه نعمة من نعم الله التي اختص بها وإن أصابتنا عين حاسدة كنا نحتكم في صمت إلى المنهج العلوي، فالعفو في الفعل والعفة في القول، ثم نتلمس لحظة الصفا دونما تدخل من أحد، ودونما يشعر الأبناء، وعندما كان الجزاء الأوفى للصبر والرضا مجاورة

الكعبة المشرفة عشر سنوات ويزيد لم نبرح سويًا أعتاب الشكر، وكان بيننا توارد خواطر يثير العجب والدهشة بل لا يصدق رغم بعد الديار بيننا أحيانًا وعندما شاء الله أن يسترد وديعته، ووثق بلا وثاق، رأيته يغالب الغيبوبة وهذا الذي جسم على قلبه وعقله محاولًا وداعي بخلجاته وكيانه الروحي فكان هذا الذي أقول آية أخرى من آيات الله. وعندما أذهلني المصاب (أستغفر الله) وتمكن الوسواس بخاطري حول ما تعرض له من آلام وهو الرجل الصالح كنت لا أبرح السجود أرجو له الرحمة والمغفرة، وإذا بي أرى رؤيا تثلج خاطري، فقد رأيت بطاقة دعوة من فضيلة الشيخ الشعراوي وذهبت لداره وتأملتها جيدًا ثم رأيته يجلس في الغرفة المجاورة، فدعاني للجلوس واحتفى بي، ثم أعطاني صحيفة بيضاء ناصعة.

صحوت من نومي على مكالمة تليفونية من الأخت الصديقة ياسمين الخيام تدعوني لزيارة فضيلة الشيخ بناء على طلبه. ذهبت هرولة معها ورأيت بيته تمامًا كما رأيته في رؤياي (ولم أزره في بيته قط من قبل ذلك) واستقبلني بترحاب وقال لي بالحرف الواحد (عايزة تسرقي مننا الولاية ولا إيه) ثم قرأ حديثًا مررت عليه مرارًا إلا أنه جاء ردًا لسؤال قض مضجعي أيامًا عدة قال "لا يخرج عبدي من الدنيا وقد أردت له خيرًا حتى أوفيه ما عليه من نقص في ماله أو فقد في ولده أو مرض في صحته فإن بقي من سيئاته شيء أثقلت عليه من سكرات الموت حتى يلقى الله وما عليه خطيئة" فكانت الكلمة الشافية لنفسي، وحمدت الله.

اقول لكل زوجة: استنفري طاقات الخير في زوجك، أخلصي في إصلاح وتغيير أحواله، إياك أن تتسرب أيام التكامل الأسري بدون انصهار وانسجام في بوتقة الأسرة الصغيرة..

حاولي مرارًا إدخال السعادة إلى بيتك، بدلي من أحوالك، كوني أمًا وزوجة وأختًا وحبيبة وصديقة، ولا تكثري العتاب، وحاولي كبح جماح شهوة التشفي والانتقام، فلا يصلح مثل ذلك مع شريك العمر، والعمر سويعات وأنفاس. واعلمي أن له العديد من المهام التي لا اغتناء عنها لكي تستقيم أمور الأسرة.. كفى أنه الوالد المهيب، وكفى أنه يدير دفة العلاقات الخارجية والاقتصادية، وهو المدرس والسائق أيضًا..

وهو قبل ذلك وبعده الأنيس والونيس، والسند والصاحب بالجنب، فتشي عن سعادتك في قلب زوجك وروحه، واحذري التسويف والظلم والتعالي، ولا تنخدعي بالزمن..

وسالمتك الليالي فاغتررت بها.. وعند صفو الليالي يحدث

وأخيرًا، اتقي الله في زوجك، إن شغله عنك هم الرزق الحلال، وأخلصي لله يعود لك طائعًا بإذن الله.

* * *

من واقع الحياة

مشكلة

ومن العجيب حال تلك المرأة التي تقول: عشت مع زوجي أكثر من عشرين سنة وتحملت صنوف الهوان من أهله برغم أنه لم ينجب أطفالاً، وعند مرضه لم أبرح قدميه.. وإثر وفاته وبينما كنت أنتحب عليه فوجئت بأخويه وأخته يخرجونني من الفيلا بدعوى أنه طلقني طلقة بائنة في مرضه.. أنا في ذهول من أمري.. فهل حقًا ليس لي إلا مؤخر الصداق الذي لا يساوي في أيامنا هذه ثمن خمسة كيلوجرامات من اللحم.

وأقول لها إن الشريعة المحكمة لم تترك أمرًا إلا ووصفت له حكمًا حتى حين تضيع معالم الإنسانية ويعظم التكالب على المتاع الفاني.

إن في حالتك هذه ليس لك إلا إثبات كونه مريضًا مرض الموت، ويطلق عليه طلاق الفار فيعامل بنقيض مقصوده فيقع الطلاق وترث المرأة سواءً أكانت معتدة من طلاق رجعي أو من طلاق بائن. واستدلوا على ذلك بما روي من أن عثمان بن عفان ورث تماضر امرأة عبد عوف.

مشكلة **واخرى تروي لنا قصتها بقولها**:زوجي متأمل في كل شيء صامت دائمًا عاطفي جدًا لدرجة البكاء، لو مرض أحد الأبناء ينهار ويفضل الجلوس مع النجوم والقمر والموسيقى والشعر عن الجلوس معي.. كثيرًا ما يبلغ بي الحنق درجه تمزيق ما يكتبه فلا يفعل شيئًا سوى ترك المكان ولا يزيد إلا أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ماذا أفعل أمام هذا البرود القاتل؟!

حبيبتي..قطعًا أنتِ عرفته مليًا في فترة الخطوبة فهذه الخصال لا تخفى على قريب وربما أسعدتك في فترة ما..

فكم من الفتيات من يروقها هذه الشخصية الشاعرية الحالمة، لكن يبدو أن معترك الحياة قد غيّر فيك أنت الكثير فجعلك أكثر واقعية، أما زوجك الشاعري فقد اصطدم بتوقف لغة الحوار الدافئ لتحل محلها قذائف من سجيل توجع كل شيء لهذا آثر العزلة، والتفرد بعرائس أحلامه التي يبثها شكواه فيطعمها أحاسيسه فتتوهج مشاعره، وإذا بك تنكئين جرحه بحملة شعواء على وريقة تتلقة بأناة ما يبثه من أنين.

فتكرسين لديه حالة من الشجن اللازم مما يزيده هجرًا وصمتًا، وكان الأولى أن تخرجي أنت لفترة من المعترك الموهوم المتجدد الذي يأكل فيك الأخضر واليابس لتشاركيه هذه الجولة الروحية بعيدًا عن عبثية القيود.

فما المانع أن تتجاذبا معاً أطراف حديث مشوق عن قصيدة أو لوحة، ما المانع أن تتدفق بينكما شلالات الأخذ والعطاء في أمور تنأى بكما عن ضغوط الحياة.

أؤكد لك أنك ستسعدين كثيرًا بقراءة جديدة لملكوت الله. اقرئي معه سير الصالحين والمصلحين والمفكرين ستجدين أحياء يعبرون لحظة بمجداف من نور.

يا بنيتي يمكن أن تخصصي للجلوس معه ساعة تأمل واعلمي أن قليلًا من التمر واللبن والماء وكثيرًا من التأمل ستجدين فيه زادًا غنيًا يثري روحك...

جرّبي وخذي راحة، فالسفر طويل ورتابة الحال تحتاج إلى قدر من الصبر والكياسة والتحرر منها بعض الوقت كفيل بتجديد حياتك، وتجنبي الفظاظة والغلظة، وكم من حسناوات تروقهن سجايا زوجك واحمدي الله أنه يتأمل قمر السماء ونجومها ولا يتفرس أقمار الأرض وكواكبها.

* * *

وتشتكي سيدة من أن زوجها يدخر ثروته في شراء الأسهم، وهي تعارضه..

وبالطبع من حقك التفاهم والتحاور وتدبير الأمر فيما يتعلق بمستقبل أولادك ولكن ليس من حقك تكديره وممارسة سياسة الضغط عليه في كسبه وكده. بالتفاهم نقول إن التحريم يتبع نوعية الشركة العارضة للأسهم، فإن كانت الشركة خدمية مشروعة تحقق منافع عامة كالصناعات والمقاولات والمواد الغذائية فالفقهاء أجمعوا على وجوب تداول أسهمها بالبيع والشراء لاستمرار أدائها الخدمي.

أما إن كانت أسهمًا لشركات تعتمد على المحرمات كالخمور والملاهي فلا يجوز التعامل معها بالإجماع. وأما إن كانت الشركات تعمل في مجالات مباحة لكن يشوبها حرام نظرًا لتعاملاتها الربوية فهذه اختلف بشأنها الفقهاء، وقد أجازوا التعامل معها وفق ضوابط ونسب معلومة حددها مجمع الفقه الإسلامي، تختلف من شركة لأخرى، أما إن كانت الأسهم والسندات تستخدم كصورة مشروعة للتغرير بالناس أو كنوع من المقامرة فيفضل الابتعاد الفوري عنها حفاظًا على كد العمر.

مشكلة

ومن أجمل ما وصلني وأثار شجوني تلك الرسالة: سيدتي، أحببت زوجي حبًا لا يوصف، كانت بيننا أجمل عشرة.. يحترمني، يخاف علي، يغدق علي بكل شيء، بل ويخصني حتى عن أولادي، كنت أشعر دائمًا أنني عروسه التي لم تزل بعد تملك عرش قلبه..

كنت أعد له الطعام لأسعد بكلماته الحلوة فقد كان خلوقًا لدرجة تجبر الجميع على احترامه، وفجأة وافته المنية وهو جالس يتسامر معنا..

إنني أكاد أجن، مر عام ويزيد وأنا في حالة لا يعلمها إلا الله.. بربك هل سألتقي به في الآخرة حقًا حتى أعيش على هذا الأمل.

وأنا أقول: أسأل الله أن يمن عليك بالصبر، وأن تخرجي من هذه الكبوة النفسية، واحمدي الله على سيرته العطرة وذكرياتك الحلوة معه، وكوني له خير أرملة حافظة للعهد، راعية للأبناء.

وعليك أن تعتادي الاعتماد على نفسك، وأن ترعي الأمانة التي بين يديك، واشغلي نفسك بتربيتهم وإعدادهم.

واجعلي خلوتك مع الله هي عين الأنس كله، وصاحبي الباقي الذي لا يفنى وما دام زوجك بهذه المحامد والسجايا فثقي أنه من أهل الجنة بإذن الله واعلمي أن المرء مع من أحب في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبرؤيتك له في منامك دومًا وفي الآخرة بمرافقته بإذن الله.

أذكر في هذا المقام ما كان من أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أخذ ينظر إليه وهو يبكي فقال الحبيب: ما يبكيك؟

قال: أذكر دنيانا ونحن معك ثم أذكر آخرتي وأنت في مقامك الأعلى عند ربك، ونحن في مقام آخر. فقرأ الحبيب صلى الله عليه وسلم قوله

تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النسا].

اصبري، ومن يتصبر يصبره الله، وتعايشي مع الواقع الجديد، والله معك.

* * *

نساؤنا في قبضة الأسر

نساؤنا في قبضة الأسر

هل سمعتم في عصر الليزر والتقنية، عصر الحرية والديمقراطية، عصر الأمة الواحدة، عصر تطأ الأقدام الكواكب وتجوب أعماق البحار، وتفجر الجبال وترسم فيه الخرائط الدقيقة للخلايا بحثًا عن عمر أطول بلا أسقام..

هل سمعتم عمن خرج فجأة عن النيولوك وأسفر عن وجهه القبيح المدمم فإذا بنا نرى هولاكو يُبعث من جديد في ثوب تتري؟

لقد زحف السوبرمان المدجج بأسلحة الإفناء التي لا تبقي ولا تذر، وأيضًا بقوارير العسل المسموم إلى فراغنا وتمدد على تكأة الأنامالية والخوف..

ووجد ظهيرًا مناسبًا ليمتطي ظهورنا ويعبث بمقدراتنا وأقواتنا وعقولنا وشبابنا ونسائنا.. فهو المخلّص كما يدعي من وطأة الحاكم الظالم المستبد، وهو الذي بلمسة سحرية من عصاته القدرية سيمنح المرأة حقها السليب وسيجعل الخلائق تنعم بحياة حريرية رغدة فالحرية قوتها والديمقراطية عبيرها..

فإذا بالمرأة التي جاءوا من أجل إنقاذها!! من سطوة القوامة وسلطة الولاية وأسر التقاليد والعقائد تذبح جهارًا في محفل مدنس، وحيث تغتصب عيانًا على مشهد من الحضور الذين التفوا حول ابنة المعز التي وقعت في شباك الغدر والخسة بينما يحتسي دعاة الحرية والإنسانية نقيع الحقد

والكراهية والاستعلاء والاستبداد بالقوة والتلذذ بمشاهدة عذابات المؤمنة الصابرة وهي تسلب إنسانيًا.

لقد وقعت العربية المسلمة في أسر ظالم لا يرحم وورست بها ومعها أبشع أساليب التعذيب الحسي والمعنوي وقتل الرضيع بين يديها، وقدمت عارية هديةً لنيرون عصره ذلك الذي أعلن البراءة عندما تعرى جهارًا أيضًا أمام المحافل الدولية والإنسانية تلك التي منحته يومًا المباركة الكبرى باعتباره راعي الإنسانية.

إن الهيئات الدولية قدمت لنا دليلًا دامغًا على خستهم ونذالتهم وكلها موثقة، ومن يتابع هذه الصور المقززة التي سربت قصدًا وعمدًا لكسر إرادة الأمة وإذلال الشعوب العربية الإسلامية سيدرك حتمًا أننا أمام نموذج عجيب من البشر ذلك الذي يتسم بالسادية والشذوذ والقبح النفسي.

ومن هنا أخاطب نساء العالم.. أخاطب الشرفاء في كل مكان أن المرأة العربية بالعراق وفلسطين تتحمل صنوف الهوان على يد زبانية الخسة، تطرد.. تقتل.. تسفك دماء أبنائها، ترمل، تتيتم..

ألا من أذن مصغية بين من يحملون لواء حماية الإنسانية!

يا نساء العالم، أتوجه إليكن جميعًا وإلى حاملات لواء حماية الإنسانية، وأخص بالذكر الجمعيات التي تقوم بمهام جريئة لمنع العنف ضد المرأة.. ألم تشاهدوا صورة المرأة العربية وهي تغتصب عيانًا بين ثلة من الساديين؟

ألم تقشعر جلودكم وهذه المرأة المسنة تمتطى كالحمار والأخرى تُجرد من ملابسها وتؤمر بما يندى له الجبين؟

إن التقارير العالمية تضع بين أيديكن وأيدي كل من يتولى مهام إنسانية من الحقائق منها على سبيل المثال وليس الحصر ما جاء بتاريخ ٣٠/ ١/ ٢٠٠٤م أن بعض السجينات المفرج عنهن في سجن "أبو غريب" تعرضن للاعتداء الجنسي، وأن عددًا آخر من المعتقلات لازلن يتعرضن لأبشع أنواع المهانة.

أعلنت منظمة العفو الدولية في ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٣م أن هناك انتهاكات للإنسانية تتم في سجون العراق، وأن استهداف المرأة العربية المسلمة وتسريب صور الاعتداء عليها من قبيل كسر الإرادة العربية وإذلال الأمة بأسرها ألا يعد سببًا كافيًا لإعلان صرخة احتجاج مدوية؟

ألا تعد هذه الممارسات مخالفة لأبسط حقوق الإنسان؟

وبماذا تصفون الاعتداء على القيادات النسائية النشطة لدرجة تصفيتهن جسديًا كما حدث للمواطنة سلوى أور ماشي؟

وهل اعتقال وقتل واختفاء العلماء والعالمات من قبيل مكافحة الإرهاب؟

ألم تقرأ الهيئات الموقرة استغاثة النساء العراقيات ومطالبتهن بهدم السجون على من فيها رحمة بهن (سجن أبو غريب، وسجن كروب قرب المطار)؟

لقد تأكدت فاعلية دوركن في تحسين أحوال المرأة عمومًا وتوفير مناخ مناسب لإمكانية قيامها بدور فعال في المجتمع وها هي الآن وبناء على توصياتكن يفسح لها المجال في العمل السياسي وازداد بتشجيعكن وتضافركن إعداد المرشحات والمنتخبات للمجالس النيابية والشورى بل

وكان لإسهامكن ومتابعتكن الدور الفعال في الحد من عادة الختان ولم تـزل مكانتكم واجتماعاتكم ودوركم التوعوي يتردد (شيء طيب أسعد المرأة)..

لكننا لم نسمع لكنّ صوتًا عندما اعتـدي عـلى النـساء جهـارًا وعنـدما اغتصبت إنسانيتها، وعندما تناوب عليها دعاة المدنية، وعندما انتحرت من وطأة الظلم، وعندما تحركت النطفة العفنة في أحشائها..

هل الختان أبشع جرمًا من ذبح واغتصاب وقتل الأطفال على صـدور أمهاتهم؟

هل الصمت المفجع وأنتم قادة الفكر والرأي وحمـاة الأمـان يتناسـب والعبث بالنساء عاريات وهم يعلمون تمامًا أن المرأة العربية توارثت الحفاظ على عفتها وكرامتها وأنها صاحبة عقيدة وأن للعشائر والعائلات اعتبارات قيمية معنوية يعرفها أصحاب أعظم حضارة عرفها التاريخ بل حـضارات شتى موغلة في القدم من حضارة الوركـاء في الألـف الرابـع قبـل المـيلاد، ومرورًا بحضارة لكش ثم حضارة بابـل ثـم حـضارة آشـور ثـم حـضارة الكلدانيين ثم الحضارة الإسلامية.. تلك الحـضارات التـي علّمـت العـالم كيف يفكر ويكتب ويدون..

تلك الحضارة التي برز مـن رجالاتهـا حـامورابي ١٧٩٢ قبـل المـيلاد صاحب التشريعات الشهيرة، بل شـهدت العـراق تأسـيس أولى حـواضر العالم الإسلامي الكوفة والبصرة وبغداد وسمراء، وظلـت بغـداد عاصـمة للعالم العربي الإسلامي لأكثر من سبعة قرون، قادت خلالها الحياة الفكرية والإنسانية.

هل أدركتم يا سادة العلم الجـدد مـن أيـن توارثـت المـرأة العربيـة في العراق شموخها وكبرياءها؟

فهل بتجريدها من ثيابها وعفتها شفيتم غيظكم؟

أليست هذه الانتهاكات التي تقشعر لها الأبدان مخالفة لما تعارفتم عليه دوليًا منذ بادرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر باقتراح أولى اتفاقيات جنيف لحماية الجنود الجرحى ومن ثم تبنت الاتفاقات الإنسانية التي تنبع من مبدأ احترام الشخص الإنساني واحترام كرامته وتقديم المساعدة النزيهة دون تمييز بين ضحايا الحرب الذين لم يعودوا بسبب الأسر أعداء؟

وكان الاتفاق الثالث من اتفاقات جنيف هو الذي اهتم بمعاملة الأسرى فيما بين ٢١ أبريل و١٢ أغسطس ١٩٤٩ والتي منها إطعام الأسير، وفي المادة ١٠ من اتفاقات جنيف الثالثة ضرورة أن تتكفل الدولة الحاجزة للأسرى بإعاشتهم ومعالجتهم (لا أن يبولوا على جراحاتهم)..

وفي المادة ٢٧ تزويدهم بكميات من الملابس الداخلية والأحذية الملائمة. أما تجريدهم من ثيابهم دون تفرقة بين النساء والرجال وإدخال النساء عاريات على الرجال الذين ما أنقذهم من هذا البلاء إلا صيحتهم الله أكبر كما يقول أحد السجناء المفرج عنهم في حين أن المادة ١٣ تدعو إلى معاملتهم معاملة إنسانية، ولا يجوز تعريضهم للتشويه البدني، أما في سجون السوبرمان فالكلاب تقوم نيابة عنهم بنهش لحوم النساء وقتل الأطفال.

أيها الغائبون.. كنا نود لو قرأتم قليلًا عن عظمة الإسلام الذي وصمتموه بالإرهاب وهو منه بريء..

انظروا ماذا يقول الحبيب في أسرى بدر «استوصوا بهم خيرًا»، ثم ينهى عن تعذيب الجريح، ويأمر بأن يبقى ويداوى ويفدى أو يُمن عليه، وكثيرًا ما يذكّر رفاقه وأصحابه فيقول «لا تعذبوا عباد الله».

وعندما سئل مالك رحمة الله عليه: أيعذب الأسير إن رجي أن يدل على عورة العدو؟ فقال: ما سمعت بذلك.

بل تبارى المسلمون في الإحسان على من بيدهم من الأسرى وخاصة بعد ما نزل فيهم قرآن يتلى باعتبارهم من الضعفاء، يقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان]

فكانوا يؤثرون الأسرى على أنفسهم طمعًا في رضوان الله. بل دعا الحبيب الأسرى إلى عمل إيجابي ليتكسبوا منه ويكونوا بعده أحرارًا بأن جعلهم يقومون بمهمة تعليم أصحابه ورفاقه القراءة والكتابة لتنشأ المؤاخاة بينهم فيدخلون في دين الله.

أما المرأة إن وقعت في الأسر فكانت تعامل معاملة طيبة وكثيرًا ما يعيدها إلى بلادها بعد ما يقوم بتموينها بالطعام والشراب.

روى الطبراني في الأوسط أن ابنة حاتم الطائي وقعت أسيرة في أيدي المسلمين، وأنزلت بمكان يمر به النبي صلى الله عليه وسلم فتعرضت له، وقالت: "هلك الوالد وغاب الرافد فامنن عليّ" فقال الحبيب: قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك..وأقامت حتى قدم رهط من قومها فأعطاها نفقة وحمّلها ثم سافرت معهم آمنة..

وكفانا وصية الصدّيق التي تتفق ومنهج الخيرية «لا تهدموا بيتًا ولا تقطعوا شجرًا ولا تقتلوا شيخًا ولا طفلًا ولا امرأة، وإياكم والمثلة ولو كلب عقور».

ولم تختلف وصايا الصديق عما أمر به الحبيب، فالسمت الإنساني الخير هو الغالب.

أرجو من سادة الزمان الأسود أن يقرءوا في سفر الإسلام قراءة منصفة.. ولترتفع الأصوات التي خنست اليوم لتعلن حقًا واجبًا نشارك أخواتنا وبناتنا غضبهن حتى لا تسحقنا أقدام التاريخ ويغوّر زمانًا باعتباره من نفايات الأزمنة. وذلك بالتواصل معهن عبر القنوات الشرعية والهيئات، بمراسلة الجمعيات النسائية في العالم وببث هذه الصور الخاصة بالنساء على صفحات الإنترنت لمخاطبة الشرفاء والمخلصين من أهل العقائد والأديان برعايتهن نفسيًا ومساعدتهن على الخروج من هذه المعاناة، وأن يلعقن أحزانهن ويخرجن إلى الدنيا فهن أبطال عفيفات طاهرات وليكن لهنّ موقع على الإنترنت ليكشفن للعالم الوجه الحقيقي قبل الأقنعة والنيولوك الزائف..

وليست شقيقتي في فلسطين بأفضل حالاً من نظيرتها في العراق، فلكن عزائي في النخوة والكرامة والعزة.

بقيت كلمة أخيرة.. بأن نتأمل نحن نساء أمة الإسلام وقد عجزنا حتى عن البكاء على أحبائنا، واكتفينا بمقاطعة نشرات الأخبار، ثم الصمت والصمت..

ترى هل أبناؤنا وبناتنا لديهم القدرة النفسية والمعنوية على حمايتنا إن دارت بنا الدوائر؟!

* * *

وا إسلاماه!

وا إسلاماه!

كأن نساء الأمة الإسلامية كُتب عليهن أن يروعن بين الفينة والفينة، بل ويُقدمن قربانًا لعابث متربص بأمة محمد.. إلى متى يا أمتي؟!

وكأنه قدر قد سُطر على صفحة التاريخ يعيد نفسه.

ما أشبه الليلة بالبارحة! وكأني أنظر المغول وهم يجتاحون ديار المسلمين ويقتلون الخليفة العباسي وينكلون بالنساء والأطفال، وكم روع النساء والرضعاء! وكم فجع الصغير والكبير!

وبالأمس القريب نساؤنا بفلسطين والبوسنة وفلبين واليوم نساء العراق وفلسطين ولا أدري من منا غدًا.

وكلما نظرت إلى شقيقتي بالعراق وابنتي بفلسطين وهي تهرول بصغارها بينما تهدم الدار على من فيها يعتصرني الألم، وفتشت عن ولدي الذي أعددت له كل شيء حتى أجاد فك شفرة التفوق واعتلى سنام المعالي وصار شابًا يافعًا هرولت إليه أبثه شكواي، أفصح له عن هموم أمتي وما آل إليه حالها..

ربت على كتفي.. جلس على مقعده الأرجواني والتهم قطعة من الحلوى الفرنسية.. وأخذ يضغط على أزرار الريموود يمر مرور غير الكرام على المجازر الدموية.. ويعبر مناطق الخوف يغض الطرف عن شاب في مثل عمره يحمل صغيرًا يصارع الموت وقد ارتسمت على وجهه الصغير دمعات موجعة تفوق كل اللغات..

إنه مزيج حزن وخوف وإصرار ومصير محتوم، إنه يعلم أنه أيضًا شهيد لا ينتظر مع الغد سوى قذيفة تهدم داره أو تقصف الحي أو تحرق الشجر والبشر، ثم يستقر على إحدى القنوات التي تقدم العاريات في ثوب من الإباحية المكشوفة، إنها ثقافته التي ارتضاها.

تأملت خيبتي أهؤلاء حماة الدين؟!

أهؤلاء يعرفون معنى النخوة والكرامة والدفاع عن العرض والأرض؟!

لقد أدركت خطيئتي، فقد تعلم من هؤلاء الأكثر رقيًا وتقدمًا وحضارة أن يكون كما يريدون لا كما نريد.

تعلم تاريخهم وأمجادهم وثقافتهم وفنونهم حتى صار منهم وإن كان منا، معهم وهو في الغرفة المجاورة.

لم أنتبه لردائه وطريقة شعره والصور الفاضحة في غرفته.. لم ألتفت للسي دي الشهير للمغني العالمي في السيارة وفي الغرفة.

إنه صديق حميم للكثيرات منهم عبر الإنترنت، لذا لم يأبه كثيرًا بحديثي إلا عندما يريد شيئًا فأنا من حقبة موغلة في القدم، إنه يلوح كل حين للسفر إلى بلد سوبرمان..

أمسكت بتلابيبه وعنفته كثيرًا بيد أنه رمقني بسخرية قائلًا: وماذا أفعل؟ هكذا يتعامل المتخلفون دائمًا، إنه مغيب حقًا.

غدوت إلى الغرفة الصغيرة التي ينام فيها أبي الرجل المسن.. أيقظته وشكوت له من ولدي.. قال في هدوء الموتى: إنه خريج مدارسهم وجامعاتهم تعلم على أيديهم والآن يتطلع لزورقهم لينجو من هذا

الانفصام الذي يعيشه، فكيف يطالب بما ليس له منه سوى هوية يود أن تختفي ليحظى بالوثيقة الحمراء؟!

نعم، لم أعده من جذور أرضي، لم يعرف عن تاريخه سوى صفحات شائهة مترجمة.. لم يشم عبق الإيمان في المسجد..

لم يقرأ عن عظمة الإسلام وتاريخه وتراثه وأبطاله، أين كنت أنا إذن على حلبة الدنيا؟

فشلت.. قال والدي وهو يغالب النعاس إن خذلك ولدك فمازال هناك أمل في أولاد غيرك، حدثيهم عن خيبتك التي أنفقت عليها شقاء السنين..

ثم راح يهذي قائلاً: هاتي الأطفال هنا بعيدًا عن الشظايا، اجمعي النساء وعلميهن أن يدافعن عن أنفسهن..

هم يقولون إنهم أتوا ليحرروهن، فهل ستحرر النساء من ملابسهن أم من شرهن؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]..

هل تهيأت نساؤنا لمواجهة تتار العصر الذين ساروا وفق مخطط مدروس أنجزوا منه الكثير في زمن قياسي، وكلنا يعرف ما يرمز له العلم اليهودي إذ تتربع نجمة داود على ضفتي النيل والفرات.

وكلنا قرأ عن مشروع الشرق الأوسط الكبير.

وكلنا اكتفى باللاتعليق.. بالانزواء خوفًا من بطش الجبابرة الخونة لله..

ماذا يعرف ولدي وولدك عن ذلك المخطط.. عن حقيقة ما يحدث وعن سر هذه الهجمة.

صورة المرأة في وسائل الإعلام وأثرها في صياغة القيم الاجتماعية

صورة المرأة في وسائل الإعلام
وأثرها في صياغة القيم الاجتماعية

نحن نعايش في هذه الآونة عالمًا اتسم بالثورة والحركة والقدرة الفائقة على التواصل والمحاكاة. فالتقدم العلمي والتقني في كافة مجالات الحياة جعل العالم وكأنه قرية كونية وخاصة ما أحدثته ثورة الاتصالات من تواصل..

واستطاع الإنسان بضغطة يسيرة على الريموود أن يطوف العالم ويتتبع الأحداث، ويتعرف على الآخر ويقرأ الأفكار ويتأمل المخلوقات ويتشرب المخطط المعد له بعناية والذي يُسرّب له بهدوء المتعة السلبية فيتحول دون أن يدري من مشاهد يبحث عما يترفه به إلى مدمن مسكون بالتطلعات ساخط أو محبط أو ثائر لكنه في خاتمة الأمر مستجيب لمنطق العبودية الجديدة.

نعم، فالسياسة الكبرى للإعلام تمشي بكيفية إعداد شعوب قابلة مستجيبة تذوب هويتها وهو تضحك ملء فيها، وصدق الله العظيم حقًا حين قال: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج:٥].

والمعلوم أو وسائل الإعلام لا تقتصر على المشاهدات عبر التلفاز والإنترنت فهناك الوسائل المقروءة كالصحف والمجلات والدوريات والمسموعة كالإذاعة وأيضًا الإعلان والكاريكاتير (وبالطبع لا ننسى السينما المؤثر الشعبي).

وعلى الرغم من تحقيق بعض الإيجابيات لهذه الرؤية الكونية والتي من شأنها أن تقرب الحدث وتعرّف بالمخاطر وتحذر منها، وأيضًا تبرز المعارف والمعلومات التي تحقق نفعًا للإنسان، إلا أنها تعد أكثر فتكًا من أعتى الآلات العسكرية إن استخدمت كسلاح منظم وكقوة مدمرة..

فالتقدم المذهل الذي أحرزته الدول الصناعية الكبرى صاحَبه شعور بحتمية ابتلاع الآخر وفرض ثقافة أحادية تحققها الهيمنة الإعلامية.

فالواقع يشي بهذه السطوة الإعلامية عبر السماوات المفتوحة وما تدفق إليها من أقمار تصوب نحو حنايا خارطة الأرض سيلاً من الأفكار والثقافات المدروسة والمنظمة، فأصبح العالم يدار برأس واحد له ملايين المرايا ممثلة في الشاشات الصغيرة والكبيرة.

ومثال صغير نستدل به على ما نقول.. إن أكثر من (٧٠٪) مما يبث عبر الإنترنت مصدره الولايات المتحدة الأمريكية فهذا يعني أن الثقافة الأمريكية جارٍ تصديرها إلى العالم لكي تصبح النموذج واجب الاتباع.

من هنا استشعرت دول العالم الثالث بالخطر القادم إلا أنها لا تملك صوتًا مؤثرًا نظرًا لضآلة إمكاناتها في هذا المجال.

وباءت محاولات هذه البلدان بالفشل وخاصة حينما طالبوا في أواخر السبعينيات منظمة اليونسكو بإنشاء نظام عالمي جديد يحقق التوازن والعدالة في إنتاج وتوزيع المادة الإعلامية ليتمكنوا من حماية خصوصيتهم الحضارية وذاتيتهم الوطنية، لكن حالت الولايات المتحدة وبريطانيا دون ذلك.

استمر التدفق الإعلامي من جانب واحد واستطاعت هذه القوى الأحادية أن تكرّس فن الطموحات المستحيلة من خلال تصدير برامج إعلانية ومسلسلات لدول العالم الثالث مما أدى إلى إحداث ثورة إحباطات دفعت الشباب إلى الهجرة للبحث عن الجنة الموعودة في الغرب.

ومن التناقض البين تسخير وسائل الإعلام الأحادية لمطالبة العالم الثالث بممارسة الديمقراطية وحماية الحريات بل والدعوة إلى الفوضى الخلاقة..

وذلك ما هو إلا البديل المدروس للانتماء العقدي والوطني، بل تفرض قهرًا البيئة الغربية المرفوضة أصلاً لمغايرتها لموروثاتنا القيمية بل وتكرس للثقافة الاستهلاكية التي تتصادم أيضًا مع قناعاتنا العقدية الداعية للعمل والقناعة والصبر.

ولعل الشعور بامتهان الوعي العربي الإسلامي الذي تجسد في المحاولات المتكررة لتقريب الهوة بين الشرق والغرب وآخرها مؤتمر برشلونة الأول ١٩٩٥ والثاني ٢٠٠٤ والذي غضت فيه الطرف عن مطالبنا العادلة لحماية خصوصياتنا واستخدام موازين العدالة بخصوص الشأن الفلسطيني..

كل ذلك دفعنا أن نحاول كسر جرة العسل خوفًا من لسع النحل، فللحق أن لثورة الاتصالات مزايا لا تنكر أهمها فتح أبواب العلم والمعرفة وسرعة نقل الخبرات، أيضًا الاطلاع على آراء مفكري العالم المنصفين وإمكانية تحرير المصطلحات المغموطة من خلال متابعة منتدياتهم.

فعرفنا الحرية على الطريقة الأمريكية وصححنا المعلومة عند متابعة مبادئ حقوق الإنسان التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة ١٩٤٨م ولأننا لا نملك وسائل العصر المؤثرة وإن امتلكنا الوسيلة فليس لدينا آلية الحوار "العلم القوة" لم نشارك من قريب أو بعيد في التعريف بالمبادئ القيمية التي جاء بها الدين الحنيف والتي تسبق ما أقرته المواثيق والأعراف الدولية، فإن برز مبدأ المساواة ونفي التمييز وجدنا قول المصلح الأكبر صلى الله عليه وسلم يعلن في آذان الدنيا: **"لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى.. الناس من آدم وآدم من تراب** .

ثم يقدم لنا قانون السماء الداعي إلى المساواة والمعرفة والوحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣].

* * *

المرأة عبر وسائل الإعلام

وإذا انتقلنا من العموميات بما لها وما عليها، ووضعنا دائرة الضوء على المرأة عبر وسائل الإعلام على الصعيدين المحلي والعالمي لوجدنا أنها حظيت بقدر من الاهتمام لا ينكر، فاستطاعت عن طريق ثقافة الصورة في تجلياتها الإيجابية أن تتعرف على بيئات وعادات وثقافات متنوعة، ومن خلال الإحصاءات الصحيحة تمكنا من معرفة خريطة الأمية النسائية وهشاشة وضعها وتدني مستواها.

وأيضًا عبر مسح ديموجرافي استطعنا أن نكوّن صورة ذهنية موثقة عن تدني الرعاية الصحية للمرأة نتيجة للجهل والفقر في دول العالم الثالث.

واستطاعت أيضًا أن تتعرف على نظريتها في الدول المتقدمة وما حظيت به من حقوق ورعاية.

أيضًا نجحت وسائل الإعلام في عرض قضية المرأة الشرقية بصورة أثارت حنق العالم على البيئة العربية الإسلامية والرجل الشرقي ثم تكريس الكراهية ضد الإسلام واتهامه بتخلف المرأة ووضعها في سجن التقاليد والعادات..

وبالطبع هذا القول منافٍ للواقع واستطاعت وسائل الاتصال الضاغطة والموجهة أن تحرك المنظمات غير الحكومية التي بدورها كثفت جهودها على منطقة الشرق الأوسط فتوالت المؤتمرات المطالبة بتمكين المرأة ومساواتها بالرجل إلى آخره..

كل ذلك حرك المياه الراكدة وبدأت الصحافة النسائية تخرج من السكون إلى الاستقواء بالآخر وتناولت وسائل الإعلام هذا الأمر بقدر من السخونة لإحداث سبق أو فرقعة إعلامية دون قناعة حقيقية بالقضية برمتها..

فالمرأة غالبًا كادحة تدور في فلك الأسرة لمواجهة أعباء الحياة، والرجل يخشى أن تؤثر هذه المبادرات والمطالب على الحقوق التي قاتل من أجلها زمنًا حتى نصب نفسه (سي السيد) مستخدمًا دون فهم معنى مصطلح القوامة الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤].

أحبائي.. إن المرأة المسلمة تواجه كمًا من التحديات الهائلة أهمها اقتلاعها من جذورها وتفكيك البنية التحتية بدعوى الحرية والتلويح بالحرية المفقودة وحتمية الثورة على سلطة الأب والزوج!! والتهوين من شأن كل ما هو قيمي وذلك عن طريق الإبهار الإعلامي الذي يصيب البعض بالصدمة الحضارية بل ويعمد إلى محاصرته لشبابنا وشباتنا واقتحامه لخلواتهم.

ثم الدور الخفي في التهوين من شأن الجريمة والممارسات الشاذة..

من هنا كان لزامًا علينا أن نستيقظ من غفوتنا حتى لا يتمددوا في فراغنا ويسلبونا فلذاتنا.. وذلك بانتقاء ما يشاهد، وأيضًا فلترة مضمونة وذلك يتطلب فعالية أهل الاختصاص الذين لديهم إدراك سليم لخصوصيتهم العقدية..

أيضًا بتشجيع المنتج الإعلامي المحلي.. ولابد من قراءة متأنية لتجارب

الشعوب الأخرى للدفاع عن هويتها ضد الهجمة الشرسة من القوى الأحادية.

ولندرس مثلاً ما فعلته فرنسا وكندا فقد خشيتا على ثقافتهما فبدءا حملات مكثفة لمراجعة ما يفد عبر السموات المفتوحة، وخاصة بعدما تعاظمت الشركات العملاقة وتغلغلت ذراعها الإعلامية فأصبحت الشاشات المتعددة وجوهًا متشابهة لفكر واحد.

فعمدوا إلى تشجيع المحليات وتقليص مساحات التواجد الأمريكي على الشاشات المحلية أو معالجة ذلك بدبلجة المضمون ليقدم بلغات محلية.

وأيضًا بتشجيع الصناعات الإعلامية الوطنية، ولنحذر المصطلحات المغرضة التي تُقدم عبر الفضائيات.. فإن أحكمت الأقنعة وارتدى الشياطين مسوح القديسين بدعوى إصلاح أحوال المرأة المسلمة ومنحها حريتها السليبة فلابد أن نعرف أنهم هم أيضًا الذين تدافعوا حول دراسات من نوع آخر.

إنها دراسة حظيت بقدر من الذيوع حول جسد المرأة وفكرها.. فقد تناول على سبيل المثال (المفكر رولان بارط) المرأة ليدرس ما يطلق عليه "جسد الإشهار" ومدى استغلالها في العملية التسويقية إلى حد أن تحدث الدارسون عن تشيء المرأة أو تبعيضها (جعلها بضاعة تباع وتشترى).

ولعل أهم عامل مشجع لعملية استغلال جسد المرأة وإبراز مفاتنها التنافس الكبير بين شركات الإنتاج الغنائي وتنافس الفضائيات وخاصة فيما يُعرف بإعلام الواقع.

فهل يا سادة، إبراز مفاتن الجسد هي الحرية المطلوبة؟

أظنها حرية العبث في الجسد وبالجسد بتشكيله على طريقة الخزافين وتعطيل أدوات الفكر وطمس الرؤية بالدولارات.

وهنا وفي عصر الليزر وثورة الاتصالات تعود المرأة إلى رق الجاهلية وسوق النخاسة، والفرق بين الأمس واليوم أنها اليوم تساق جهارًا على مشهد من العالم لتجسد القبح والفحش والعري وبالأمس كانت ستيرة إلا على يد النخاس.

* علينا أن نصنع بأنفسنا إعلامًا مقبولاً لا يعوزه الإبهار إلا أنه يجسد قضية الأمة ولا يخرج عن أطرها وخصوصيتها العقدية والحضارية..

ولدينا القدرة حتى الآن أن نقول لا وألف لا لكل وافد مغيّب، ونعم وألف نعم لكل جهد مخلص يعود بالخير على الإنسانية..

وأخيرًا أقول اعملوا يا رفاق فإن الدنيا إلى زوال ونحن فيها زراع لغيرنا، وسنسأل عما بأيدينا من أمانات، وسنسأل أيضًا لم تقاعسنا وتقدم غيرنا.

* علينا أن نشارك أحبائي في الإصلاح بعمارة الأرض، وندعو إلى الصلاح بعمارة القلوب، وأن يكون لنا دورنا الفاعل في ذلك.

ولتكن لنا لحظة إبداع نستلهمها من تراثنا الزاخر ومن عذابات واقعنا ومن حلم الغد المشرق، ولحظة مؤيدة من الله تجعل المشاهد والذي له الإرادة الكاملة بالضغط على الريمود والسياحة عبر الأثير يجلس مشوقًا سعيدًا أمام من يسبح به في ملكوت الله يبصره بواقعه وينجو به من الاستلاب والتبعية. وتمهد له طريق الهداية والنور..

اللهم يا نور النور، بحق اسمك النور.. أخرجنا من الظلمات إلى النور.

من واقع الحياة

مشكلة

تقول السائلة: أغيثوني، فنحن أسرة ملتزمة من عائلة معروفة، فوجئت بابنتي الكبرى تترك البيت بعد ما جمعت كل مدخرات الأسرة وكل ما كنت أحفظه لها من حلي، فوجئت أنها تزوجت من السائق الذي يكبرها بأكثر من ٢٥ سنة وهي الجامعية التي تعد رسالة الماجستير بينما هو لا يقرأ ولا يكتب، ولديه أبناء في مثل عمرها.. بل وقيل لي إنه أسلم ليتزوجها.

وأرى أن الأمر يحتاج إلى صبر، فهذا بلاء بل هذا هو عين الجحود والعقوق، عليك برفع الأمر إلى القضاء الذي سيحكم بفسخ هذا العقد لعدم الكفاءة.

ولأن هذه الزيجة تلحق العار بأوليائها. وهذه المسكينة مغيبة وستأتي الإفاقة حتى ولو كانت متأخرة، وهذا يجعلنا دائمًا على حذر من كل من يخالطوننا.

* * *

المرأة بين الأمية والإهمال

المرأة بين الأمية والإهمال

أعتصر ألمًا كلما تابعت الإحصاءات التي تشي بزيادة تعداد النساء الأميات في منطقتنا العربية، بل تزداد المرارة في حلقي كلما رأيت فتاة تتابع أحداث ما استنبذته قرائح الغرب حول الموضة بينما لا تعرف شيئًا عن بلادها ولا عن حضارتها ودينها ولغتها. وهناك من ادعى أن الإسلام لا يُعنى بثقافة المرأة.

وبالطبع هذا محض افتراء، فالتعليم حق شخصي تكفله الشريعة المحكمة، وتحث عليه.

نعم هناك بعض المجتمعات العربية والإسلامية التي ترى ثقافة المرأة من قبيل الترف العقلي غير المجدي، فمكانها البيت وتربية الأبناء وهذا عذر أقبح من ذنب، فربة البيت المثقفة أكثر قدرة على إدارة بيتها وتنظيم شئونه، والولد في جميع أطواره الحياتية يحتاج أمًا واعية مدربة مثقفة، والرضيع له احتياجاته، والطفولة المبكرة لها احتياجاتها التي تختلف عن الطفولة الراشدة، والمراهقة تحتاج أمًا مدركة لأبعاد هذه المرحلة حيث يشكل التدفق الهرموني لدى المراهق عبئًا ثقيلاً على حالته النفسية والصحية والعقلية أيضًا، والزوج في مسيرة الحياة الزوجية يحتاج المرأة المثقفة المتفهمة التي تعرف متى تصمت ومتى تكون صاحبة بالجنب، ومتى تكون حبيبة مؤنسة.

ومن الإنصاف أن نقول إنه باستطلاع نتائج وتقارير التنمية البشرية للعالم العربي ٢٠٠٢ ذكر ما نصه: أن المجتمعات الإسلامية لا تطبق المنهج الإسلامي القاضي بضرورة تعليم الفتاة.

ولو تتبعنا البعد القيمي وأثره على وقاية المرأة من الشقاء والجهل لوجدنا كمًا هائلاً من الوصايا والتعاليم في القرآن الكريم والسنة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

والوقاية من الشقاء والمخاطر لا تكون إلا باكتمال المعرفة والعلم.. إذ إن الإنسان بالعلم يعرف ما ينفعه وما يضره.

والآية تتوجه إلى المرأة والرجل، إذ يشملهما الخطاب في ثلاثة مواضع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾، ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾.

ثم نجد النص القرآني يربط بين السعادتين إذ جعل سعادة الدنيا وسيلة لسعادة الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء]..

فالعلم نور في الدنيا وضياء في الآخرة.

ثم يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (رواه ابن ماجه والبيهقي).

بل كان النساء يجتمعن لتلقي العلم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا خصص لهن بابًا من كثرة تزاحمهن وهو معروف حتى الآن في مسجد الحبيب صلى الله عليه وسلم (بباب النساء).

ومما ذكره البلاذري في "فتوح البلدان" أن المسلمات اللاتي تعلمن القراءة والكتابة يبلغ عدد المعروف منهن نصف العدد المعروف من الرجال.

وأشهر المعلمات "الشفاء العدوية" التي كانت تعلّم حفصة أم المؤمنين.

ومما يروى عن أم الدرداء حرصها على العلم وتفضيله عن كل ما سواه، وكان للحث على تعليم المرأة أثره على سائر العصور الإسلامية المتعاقبة، فعرفت العالمة والفقيهة والأديبة..

ففي العصر الأموي اشتهرت "رابعة العدوية" في الزهد، و"سكينة بنت الحسين" في الأدب..

وفي العصر العباسي اتسعت نواحي النشاط العقلي لدى النساء نتيجة لاتساع الفتوحات التي بلغت أسبانيا والأجزاء الشرقية من العالم، وكفى تقديرًا للعالمات أنهن كن مرجعًا يعتد به لمن ذاع صيتهم في تدوين الحديث والفقه..

فهذا الإمام البخاري لا يجد حرجًا في أن يقرر أنه جمع الأحاديث عن كريمة الحرورية والتنوخية، وكذلك يشير السبكي في كتابه طبقات الشافعية

إلى كثير من النساء كن مرجعًا له في معرفة تقاليد النبي صلى الله عليه وسلم وعاداته.

ومن النساء من برعن في التدريس، وحصلن على لقب أستاذة، وكم تتلمذ الرجال على أيديهن، من هؤلاء أم المؤيد زينب أستاذة المؤرخ الشهير ابن خلكان، وفخر النساء شهدة، ومؤنسة الأيوبية أخت الملك العادل، وشهدة بنت الأبري التي قرأ عليها عبد الرحمن بن داود صحيح البخاري، والعروضية التي كانت تحفظ كتاب الكامل للمبرد.. وغيرهن الكثير.

نخلص من ذلك أن الإسلام بريء من هذه الجهالة الجهلاء؛ إذ حث على تعليم المرأة، وأعلن مضاعفة الأجر والثواب لذلك، فمن كانت له بنت أو أخت فأحسن تعليمها وتثقيفها حظي بالأجر مضاعفًا.

هذا هو المنهج الإسلامي الحق، ذلك الذي يبرأ ممن استمسك بحديث نُسب زورًا وبهتانًا إلى حضرة الحبيب صلى الله عليه وسلم "لا تعلموهن القراءة والكتابة" وكذلك يبرأ من قول جاهل مذموم "ما للنساء والقراءة والكتابة".

كما يبرأ مرات ومرات ممن يرى العلم وسيلة لتشيء المرأة، فالمرأة في العقلية الأداتية مجرد شيء تختزل قيمتها في أنوثتها، وهذه أطروحة العصر والحداثة تلك التي استفاض في نقدها "ماركوزا " في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد"..

نحن بحاجة إلى محو كل أنماط الأمية وليست أمية الأجساد فحسب.. نريد استعادةً للياقة إنسانية الإنسان. نريد ثقافة تنبع من واقعنا وخصوصيتنا وليست تلك المستقاة من الثقافة اليونانية والرومانية التي يمثلها أفلاطون، وتبنتها الرأسمالية المعاصرة، تلك التي ترى في العري جمالاً وحرية.

نريد ثقافة المؤمنة التي ترى التعليم حقًا شخصيًا والالتزام وقارًا وحرية.

* * *

من واقع الحياة

مشكلة

وصلتني رسالة تقول: أغيثيني سيدتي، فزوجي المهندس خريج الجامعة والذي اختارني بمحض إرادته وكنت زميلة له في قسم آخر.. وبعد قصة حب أربع سنوات توجت بالزواج بثلاث زهرات أحلى من كل الزهور إذا به يتلكأ في تقديم أوراقهن إلى الحضانة ثم المدرسة فقلت في نفسي شدة تعلق ستزول بهن حتى أصبح عمر بكريتي ست سنوات، فلما أفزعتني عدم استجابته ووجدته يقسم أنه لن يعلمهن سوى القراءة والكتابة في البيت وعلى يديه فإنني أقول إن سلوكياته عمومًا تغيرت بشكل مفزع فمثلاً يهددني بالطلاق لأتفه الأسباب ومرة ثانية يقنعني بحتمية الزواج من أخرى، بل تحول آخر في مظهره يدعو للتقزز فلا يهتم بنظافته الشخصية أو ملبسه ويطلب لقائي معاندًا وهو على أسوأ حال فإن رفضت اتهمني بالنشوز والعصيان، وهددني بالطرد وأخذ الأولاد، ناهيك عن التطاول بالسب والضرب وكأنه بذلك حقق ما يُطلب منه.

أفزعني يا صديقتي أمر زوجك هذا الذي يحرم فلذاته من نور العلم والمعرفة، وهو الذي لم يقنع عند زواجه إلا بمثقفة مثلك..

وعجبت ممن لا يفقه رحى الحرب الدائرة الآن، إنها ليست معركة أسلحة بقدر ما هي معركة فكر، ولن نرقى إلى مستوى الندية إلا بإعداد

فكري جيد نجدد من خلاله خلايا الخريطة الإدراكية للأبناء والبنات على السواء.

ومواجهة الغزو الفكري لا تتم بالصياح والعصبية والضجيج وإنما بالتفكر والتدبر وبالعلم النافع الذي يجب أن تتسلح به الجماعة المسلمة.

لكم أفزعني أن أرى بعض أفراد الجماعة المسلمة يغفل عن قصد أو غير قصد عن المأمورات الشرعية أو يتخير منها ما يروق لخاطره ويترك سواها أو يكتفي بأداء ظاهرة التكليفات التعبدية من صلاة وصيام إلى آخره، ولا يرعى التكليفات الاجتماعية في التربية والمعاملة والآداب.

وكفى تشريفًا للعلم أن الأمر بالقراءة والتعلم جاء في مبتدأ الدعوة إلى الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق].

وقوله فارقًا للحق عن الباطل ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٩] ثم يأتي المصطفى صلى الله عليه وسلم ليبرز موقع التعلم في حياة المسلم فيقول: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (رواه ابن ماجه والبيهقي).

فهذا خطاب للرجال والنساء على السواء، فهو الذي قال "إنما النساء شقائق الرجال".

وذلك بعدما جعل لها الخالق جل وعلا مكانة رفيعة كما في قوله تعالى ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]. فأنت أيها الأخ الكريم تضر بناتك بحرمانهن من التعليم.

الحرمان من الأبناء

الحرمان من الأبناء

قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى].

علت قدرته بمقتضى ربوبيته فأودع الدنيا لمن يشاء من خلائقه، وجعل لبني البشر حاجات من أرزاق وهبات قُسمت عليهم بالتساوي والعدل..

على أن الخلق قد ألفوا أنواعًا من الأرزاق اعتبروها معيارًا للسعادة والهناء، واعتبروا الحرمان منها شقاء ما بعده شقاء ومن ذلك إنجاب الذرية خاصة وقد جعلها الرحمن شقًا أصيلاً في ثنائية زينة الحياة الدنيا..

أقول لأختي المحرومة من الإنجاب تعالي معي بهذه الجولة التأملية..

تأملي قول الحق (يخلق ما يشاء) ما لغير العاقل وهذا يعني خلق وإيجاد أبناء لهم الهيئة الإنسانية فقط.. كيف الحال لو أن ولدًا من هؤلاء موثق بلا وثاق.. كيف حالك لو كنت واحدة ممن ابتليت بهذا الاختبار.. هم أكثر خوفًا من الغد وخاصة على هؤلاء الأبرياء الذين لن يجدوا بعد حياة آبائهم من يقوم برعايتهم بهذا الإخلاص.

بل الخوف كل الخوف من وصي عابث أو قريب وارث.. أما تمنت هذه الأم الصابرة لو لم يكن لها الأبناء أصلاً.

وأما من رُزقت بولد عاق يجلب اللعن والسب لوالديه فحينها ستتجرع الأم على يديه معذبات الدنيا..

أما تمنت هذه الأم ألا تكون قد أنجبت أصلاً؟

وكيف بمن ربت وسهرت وتعبت وإذا ما اشتد عود ولدها هاجر الديار وترك والديه يصارعان الأيام.. أما تمنيا وهما في وحدتهما ألا يكون قد أنجباه؟

وماذا عن حال الأم التي داهم المرض فلذتها وكيف تجرع الآباء شقاء الفقد وكلها علاقات أبوة وبنوة تُرى ألستِ أفضل حالاً من كل هؤلاء؟

أختي.. ليس لنا بعد ذلك إلا التسليم والرضا بقضاء الله وقدره، والصبر، فربما ما تمنيته ظاهره نعمة وباطنه العذاب، أما قرأتِ قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ [المؤمنون].

إن الرضا يا عزيزتي يورث سكينة النفس، وهي نفحة علوية تنزل بردًا وسلامًا على قلوب المخلصين.. يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[الفتح:٤] أما الرضا فهو جنة الدنيا ومستراح

العارفين وحياة المحبين، ونعيم المشتاقين، وقرة عين المقربين، اللهم اجعلنا منهم.

* * *

مسافر بلا رفيق

مسافر بلا رفيق

باقات من الزهور استقرت في غرفتي المطلة على الغابة الملونة..

إنها بطاقات حب وترحيب قدمتها عيون وقلوب عربية اشتاقت للوطن والأحباب والدعوات الصالحات، ثم جاءوني كباقاتهم صحبة على تنوع لكناتهم.

جاءوا يتلمسون أمًّا افتقدوها في أروقة الغربة، حملوا مع الزهور همومهم، وأودعوها أعتاب مهجتي.

ثم جاءوني فرادى كل منهم يجتر أوجاعه وعذاباته. وبرغم ثراء حياتهم بكل ما سعوا إليه في بلاد الغابات الملونة، وحرموا منه في ديارهم البكر، الصفراء الفاقع لونها، إلا أنني رأيت المهاجر الذي صحب رفيقة دربه من بني جلدته وعاش حاضره، فالمسجد هو الموئل والملاذ.

ورأيت كذلك نموذجًا لشاب تقدمت طموحاته لتقتصر على جلد موشوم، وهوية ممسوخة، وعقد مضروب لزواج (البزنس) من أجل توطين الغربة، وتهجين الأيام، فلا مانع من الإنجاب لتضعيف المعونة، وتخفيض الفوائد البنكية على البيت والسيارة.. سحرتهم الحرية فأودعتهم قهرًا سجن الحيرة والحسرة والألم، إذ وقفوا في شرك أبصارهم وأقدامهم فإذا

الحسناوات لهن أنياب ومخالب، وإذا الجهد والعوافي تـراق تباعًـا لتتـشربها حانات الحرام.

وعندما يأتي الولد من رحم الضلالة يستيقظ الصوت الخافـت فـيرى وجه أمه الطهور، وهي تستمطر السماء في الـسحر ترجـو العـلي القـدير أن يحفظ المسافر ويستر الوليد، لكنه خذل السماء والأرض معًا، ولم يعد بعض أمه، بل لم تشفع له خلايا مؤمنة تنبت في جسده من كد حلال أبيه.

ومن هنا تبدأ الأحزان..

استوقفني زائر جاءني من مدينة بعيدة، جاء ليرى تقاسم الوطن ولهفة والديه وحلاوة ممارسة البر المفقود..

رأيت شيخًا في الثلاثين، رأيت بقايـا رجـل بـلا مـشروع، وخرجـت الكلمات بمرارة الحال، إنها القضية الـشائكة الزوجيـة الأوروبيـة وحتميـة تقديم كافة أنواع التنازلات لقناعة واهية مضمونها أنه لا يملـك مقومـات الحضارة وعليه أن يمارس التغيير ليخرج من قاع العالم، لكنه لم يملك نفسه أمام تصرف يخدش أبسط مقومات الرجولة فإذا بالقانون الـضامن لـه إثـر زوجية البزنس يودعه السجن ويحرمه من أبنائه وعمله باعتباره شخصًا غير طبيعي..

أما الزائر الآخر فقد كانـت زوجتـه أكثـر وضـوحًا وصراحـة فـما أن علمت بإصابته في شرايين قلبه، حتى أعدت له أعجب هدية تقدمها زوجة لزوجها في أحلك الأوقات، قدمت له مع قهـوة الـصباح طلبًـا مقـدمًا إلى

المحكمة لإتمام إجراءات الطلاق وتصفية المتعلقات بينهما بما فيها الشقة ثم وريقة رقيقة في باقة من الزهور عصرية جدًا سطر فيها ما يلي: يا عزيزي لم أعد أحبك وليست لدى الرغبة في مجاملتك. وعفوًا فأنا لا أجيد التمريض وأعلم أن حالتك الصحية لا تسمح بحياة زوجية طبيعية ولا أحب خداعك إذ اخترت لحياتي شريكًا آخر، شكرًا على الأيام السعيدة، قبلاتي.

زائر آخر: ما أن اختلف مع زوجته خلافًا يسيرًا حتى فوجئ باختفائها وأولاده وكل ما يمتلك حتى متاع البيت ثم خطاب تقول فيه احذر البحث عنا أو تتبعنا وما أن حاول الاتصال بالشرطة حتى فوجئ بوابل من الاتهامات أقلها أنه متورط في قضايا أمنية حتى بلغت جملة الأحكام الصادرة ضده أكثر من (١١٠) سنة سجنًا، ولم يخرج من هذه الدوامة إلا بتوقيعه على وثيقة تنازل عن الأبناء وعن كافة ممتلكاته.

تذكرت حينئذٍ المرأة المؤمنة الصالحة في بلادنا التي قدم لنا الحبيب صلى الله عليه وسلم مواصفاتها التي إذ نظر إليها سرته وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضه..

تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم: **"ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العؤود، التي إذا ظُلمت قالت: هذه يدي في يدك، لا أذوق غمضًا حتى ترضى"** (رواه الدارقطني).

قصة واحدة أضحكتني من بين هذا الزخم الموجع حالة الطبيب المصري الذي اختلف مع ولده فاستدعى الأخير الشرطة وشهدت الزوجة

على زوجها وكاد الرجل أن يسجن لولا تدخل الأصدقاء لكي يتنازل الولد فأخذ ابن الرابعة عشرة عليه تعهدًا بـألا يتعـرض لـه ولا لـصديقته، وقّـع الأب صاغرًا ثم تقاضى عن الأمر مؤقتًا حتى ابتاع عيادته وبيتـه إلى البنـك سرًا، ثم اختلق قصة مرض أبيه (جد الابـن) في مـصر فـسافر إلى القـاهرة ومعه ابنه، وما أن وصل مطار القاهرة حتى خلع حذاءه وأشبع ولده ضربًا بالحذاء وأقسم ألا يعود مع يقين أنه افتقد ولده إلى الأبد..

وإلى لقاء آخر مع طيورنا المهاجرة..

* * *

من واقع الحياة

مشكلة

وصلتني رسالة تثير الألم في النفوس، فيها: أنا يا سيدتي زوجة صالحة بمعنى الكلمة، أقول الليل وأصوم أكثر أيام الأسبوع وأتفانى في خدمة أولادي، ولأنني من أسرة محافظة ومعروفة كنت أرفض السفر مع زوجي لأنني أخشى على ديني، ولكن وقفت معه بكل ما أملك حتى أصبح لا يقل شأنًا عن أسرتي، ولكنني فوجئت عند إعدادي لحقيبته للسفر كالعادة حسبما يقتضي عمله أن رأيت حقيبة مشفرة حاولت فتحها على رقم بسيط لأنني أعرف أنه يختار أرقامًا بسيطة فإذا بي أجد صورًا فاضحة مع فتاة في عمر ابنته بل والطامة الكبرى وجدت ملابس داخلية نسائية فاضحة بالإضافة إلى عُلب عديدة من عقار الفياجرا.

أنا في ذهول من أمري، إنه في الستين من عمره وهو شيخ مهيب وقور لا تفوته صلاة في المسجد. بربك دليني ماذا أفعل فبناتي في سن زواج ووالدي شرط عليه في عقد الزواج ألا يتزوج بأخرى.

فهل لذلك يرتكب الفاحشة؟

لقد تركت البيت دون أن أخبره بحقيقة الأمر إلى أن أفكر مليًا.

حبيبتي، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

لقد اشتد غضب الله على الزناة، فما من ذنب بعد الشرك أعظم من نطفة يضعها الرجل في فرج من لا تحل له..

إياكم والزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا ذهاب بهاء الوجه وانقطاع الرزق وسرعة الفناء، وثلاث في الآخرة غضب الرب وسوء الحساب والخلود في النار.

كما أن استنفار الرغبات بعقاقير طبية أو نوعية خاصة من النساء يخرج الرجل من منطقة الاحتياج الآمن إلى نقطة الاستدعاء التي لا حدود لها.

* * *

مشكلة

وسائلة تقول: أمي الحبيبة، أنا أمزق مرارًا على والدتي التي توفيت أو قتلت كما يقولون قبل حضوري بساعات إذ أقيم في أمريكا منذ خمسة عشر عامًا، لم أر عائلتي خلالها سوى مرة واحدة واكتفينا بالاتصال الهاتفي.

في العام الحالي كانت أمي تلح علي أن أسافر لأراها او أدعوها لترى أولادي..

كانت مشاغلي فوق كل الاعتبارات وخاصة كفاحي من أجل الإقامة والجنسية لهذا لم أهتم بالأمر وتصورت أن سماع صوتها يكفي إلى أن علمت أنها في العناية المركزة..

قدمت طلب إجازة وسافرت إلى مصر وما أن وصلت حتى فوجئت بأخي الطبيب يوقف أجهزة التنفس الصناعي لتلقى ربها في نفس يوم وصولي.. إخواتي يقولون إنني قتلتها نفسيًا وهو قتلها بالحقيقة، هل أنا كذلك؟ وهي أمي قتلت حقا؟

وأقول للسائلة: إن الموت حق، وكلنا يتعبد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف].

وهذا أمر الله لنا بأن نعمر الأرض إلى حين ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة] ، وإن كنت أعتب عليك تأخيرك دعوتها حيث إقامتك فهي أولى الناس بمشاركتك سعادتك وحياتك الجديدة.

إن الحياة يا بنيتي لا تساوي نظرة رضا وسعادة يغمرنا بها من نحب، لكن الأمر لا يعدو عتابًا.. ما عليك إلا التصدق عليها وقراءة القرآن وصلة أقاربها وعلى رأسهم إخوتك.

* * *

الخطبة في الإسلام

الخطبة في الإسلام

الخطبة وعد بعقد للتعرف على أحوال الخاطبين عن قرب وأيضًا التعرف على إمكانية المكاشفة والمصارحة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "من غشنا فليس منا" ولأن ما بني على باطل فهو باطل فلابد أن يُظهر كل منهما طبيعته بغير محسنات تدلس الحقيقة، وإن كان هناك عيب جوهري مؤثر على مقصود الزواج فلابد من المكاشفة.

ومن الصراحة المأثورة قول أم سلمة لحاطب بن أبي بلتعة الذي جاءها ليخطبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن لي بنتًا وأنا غيور، وأيضا قول أم هانيء: إن لي أيتامًا وأخشى إن تزوجت أن أظلمهن، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب للرجل الذي كان عقيمًا وقد تزوج أو كاد فقال ارجع إليها فأعلمها بحالك ثم خيّرها..

ومن ذلك حديث بلال وصهيب عندما أرادا أن يتزوجا من عائلة طيبة فلما قيل لهما من أنتما قال بلال: كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمدلله وإن رددتمونا فسبحان الله، فقالوا: بل زوجناكم والحمدلله..

فلما عاتبه صهيب على أنه لما يذكر أفضل ما عندهما من مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه، قال له: اسكت، لقد صدقت فزوجنا الصدق.

وعلى الرغم من أن الخطبة وعد بعقد وليست بعقد إلا أنه يترتب عليها حقوق وواجبات باعتبارها من جملة العهود واجبة الوفاء فلا تنتهك حرمات البيوت فيقع في دائرة الإثم.

أما ما يجب مراعاته عند اختيار الزوجة وهي المرحلة السابقة للخطبة فلابد أن تكون ذات دين تدرك حقوق الله بوعي وإدراك عقلاني سليم، ولا تقف عند مظهر الالتزام فحسب وإنما تنطلق إلى عمق الالتزام فالمرأة الصالحة زوج اليوم ومدخر الغد في المرض والشيخوخة وأم الولد وراعيته وحافظة سره، وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"**(رواه مسلم).

ولنتذكر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي افتقد فاعليته بين شبابنا الآن للأسف **"لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، فلأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل"**(رواه ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن زياد).

* * *

من واقع الحياة

فتاة تسأل: أنا يا أمي الحبيبة في العشرين من عمري، كل من رآني يقول إنني في غاية الجمال لكن الحقيقة غير ذلك إذ أصبت بمرض أصابني بالصلع ومنذ خمس سنوات وأنا لا أرفع الحجاب عن رأسي، أحبني شاب ملتزم، حاولت مرارًا الفكاك من ملاحقته لكنه ضيق علي الحصار وزاده رفضي تعلقًا بي والآن ذهب لزوج أختي وطلبني منه ثم قابل أخي كلهم يعلمون رفضي لكن تركوا لي الأمر..

الحق أنني تعلقت به، فماذا أفعل؟ هل أخبره أم أرتدي الباروكة في البيت وينتهي الأمر؟ وهل لو عرف بعد الزواج سيسامحني؟ أرجوك دبريني.

أقول لها: يا بنيتي ما بني على باطل فهو باطل..

ولقد نهى الإسلام عن التدليس وحذر منه وقضى عمر بالتفريق فيمن تزوج امراة بها جزام وجعل لها المهر إن دخل بها ويعود على وليها الذي عزر به، وأذكر في هذا الأمر الرجل الذي ذهب ليتزوج بامرأة من بلد آخر وكان لا ينجب فقال له عمر ءأعلمتها أنك عقيم؟ قال: لا، قال: فانطلق فأعلمها ثم خيّرها.

وعلى هذا جعل الفقهاء الأمر بالخيار في كل عيب ينفر الزوج من الآخر، ولا يحصل منه مقصود الزواج من الرحمة والمودة..

يا بنيتي صارحيه، ففي الصراحة راحة لك وله وعليك.

الإسلام والعنوسة

الإسلام والعنوسة

شرع الإسلام الزواج لمقاصد سامية وغايات عظيمة جليلة..

منها على سبيل الذكر لا الحصر أنه وسيلة من وسائل العفاف والإحصان والعفة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"(متفق عليه).

ثم إن من أهداف الزواج أنه سبب لبقاء النوع البشري والإنساني، ثم إنه وسيلة إيجابية لتحقيق الأمومة والأبوة وصناعة الأجيال المتلاحقة لإقامة المجتمع المسلم.

هذه الأهداف وهذه الغايات السامية إذا تعطل هذا الزواج ولم يتم فإنه يحدث فيها خلل كبير.

ولا شك أن العنوسة هي إحدى المشكلات الكبيرة التي تعانيها مجتمعاتنا العربية والإسلامية عامة ومجتمع الخليج بصفة خاصة، وهي مكملة لمشكلة أخرى هي مشكلة العزوبة بالنسبة للرجال.

هما مشكلة واحدة تأخر الزواج بالنسبة للفتاة وبالنسبة للفتى، والفتى الذي يتعزب أو يتعذب إذا لم يتزوج وهذا أيضًا موجود وكذلك الفتاة.

تعريف العنوسة

نبدأ بادئ ذي بدء بتعريف ما تعنيه العنوسة حيث ورد في القاموس المحيط للفيروزابادي أن العانس هي "البنت البالغة التي لم تتزوج وأيضًا الرجل الذي لم يتزوج"، جمعها عوانس وعنس وعنوس، وأيضًا العانس هو الجمل الثمين، كما أن العانس الناقة الثمينة، وكلمة عانس مشتقة من عنس، والعنس هو الناقة الصلبة، والعُقاب وعطف العود وقلبه، أي ثني الغصن وقلب وضعه، وأيضًا يقال "عنست الجارية" أي طال مكثها عند أهلها بعد إدراكها "بلوغها" حتى خرجت من عداد الأبكار ولم تتزوج قط.

العانس إذن كما نعرفها عمومًا، هي البنت البالغة التي لم تتزوج، أو الرجل البالغ الذي لم يتزوج.

فالقاموس المحيط أطلق هذا اللفظ على المرأة كما على الرجل، هذه ملاحظة جديرة بالاهتمام.

أسباب العنوسة

إن تأخر سن زواج الفتاة في بلاد الخليج أكثر منه بالنسبة للبنين، والواقع أن لذلك أسبابًا كثيرة منها أن الزواج أصبح يكلف كثيرًا جدًا، ولا يستطيع الشاب في بداية حياته العملية حينما يخطو الخطوات الأولى في

السلم الوظيفي بعدما يتخرج في الجامعة ثـم يتـسلم عملـه لا يـستطيع أن يتحمل أعباء الزواج وحده. والواقع أن الناس هـم الذين عسّروا ما يسر الله عز وجل، وعقّدوا ما سهله الشرع.

إن الزواج في الشرع أمر سهل ويسير ولكن الناس هم الـذين عـسروه وصعبوه بما وضعوا من عقبات وما وضعوا من تكاليف، فأصبح الشاب لا يستطيع ذلك فيتأخر الزواج، وربما فكر الشاب أن يتزوج من الخـارج، قـد يكون يدرس في الخارج ويتزوج بأجنبيـة. فهـذا هـو أول الأسـباب، كثـرة الأعباء والتكاليف التي ترهق الـشاب، وتحملـه مـا لا يطيـق فيتـأخر عـن الزواج.

كذلك تشديد بعض الآباء فيمن يـأتي ويتـزوج ابنتـه، حيـث يـشترط الأب شروطًا معينة فكثيرًا ما يأتي الخطّاب لابنته ويردهم، وهذا لأن المتقدم من قبيلة دون قبيلته، والقبائل مصنفة رقم ١ ورقـم ٢، فهذا يقول لك نحن رقم ١ وهؤلاء رقم ٤، أو نحن رقم ٢ وهؤلاء رقم ٤، يعني تصنيفات مـا أنزل الله بها من سلطان، وقد يكون الشاب لونـه أسـمر وهـذا عنـده غـير مقبول وهو مثلاً إنسان ذو دين وذو خلـق والنبـي صـلى الله عليـه وسـلم يقول: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلـوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (رواه الترمذي).

تأتيني رسائل كثيرة وهواتف من فتيات، حتى الأم نفسها تقـف ضـد زواج بناتها وبعض الأمهات عندهن عقد معينة فكلما يـأتي لابنتهـا عـريس تطرده، لا تفتح له صدرها ولا بابها.

أيضًا هناك بعض الأعراف المعيقة للزواج مثل أن البنت لازم تتزوج ابن عمها، ونفرض أن ابن عمها لا يريد أن يتزوج الآن، فتظل محجوزة له فقط وهو لا يريدها وهي لا تريده، وهذا موجود في بلاد كثيرة، حتى في مصر خاصة في الصعيد حيث لا يُقبل أن تتزوج البنت إلا واحدًا من أبناء عائلتها ويسمون كل من هم خارج العائلة أو القبيلة فلاحين وعندهم مثل يقول "يأكلها تمساح ولا يأخذها فلاح" وقد يكون هذا الفلاح أستاذًا جامعيًا ومعه دكتوراه، وقد يكون وكيل وزارة وله من العلم والعمل مرتبة عظيمة إلا أنه ليس من القبيلة أو العائلة فهو فلاح ولازال في بلاد الخليج إن تؤسر فتاة وترهن لابن عمها وابن عمها أحيانًا لا يفك أسرها، وأحيانًا لا تقبل أسرته، بينما هو قد يتزوج من قبيلة أخرى ولكن هي لا تستطيع أن تتزوج إلا من ابن العم وقد يتزوجها عدة أشهر ثم إما أن يتركها معلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة وأما أن يطلقها ويتزوج من يشاء وتظل هي مسكينة أصبحت مطلقة والمطلقة في مجتمعنا كأنها ارتكبت جريمة وربما ليس لها أي ذنب في الطلاق بل هي ضحية في ذلك.

يتبين مما سبق أن أسباب انتشار ظاهرة العنوسة في مجتمعنا تتلخص في النقاط التالية:

١- غلاء المهور، وعدم قدرة الشباب على تحمل تكاليف الزواج.

٢- اعتذار الفتاة عن الزواج المبكر بحجة إكمال التعليم.

٣- رفض الفتاة الزواج من رجل متزوج بأخرى.

٤- وضع الشروط التعجيزية من جهة أهل الزوجة أو العكس.

أما طرق حلول هذه المشكلة فهي كالتالي:

١- ينبغي على أهل الفتاة البحث عن الرجل المناسب الذي يستطيع أن يسعد ابنتهم، وعدم النظر إلى غلاء المهر. وإنما البحث عن رجل ذي دين وأخلاق طيبة، يحفظ على ابنتهم دينها ويصونها ويسعدها.

٢- على الفتاة ألا تعتذر عن الزواج بحجة مواصلة التعليم، فيضيع عمرها وتصل إلى مرحلة العنوسة، فلا تجد من يتزوجها، ولكن يمكن أن تتفق مع الزوج على مواصلة التعليم وهي متزوجة، وذلك ميسر والحمد لله.

٣- ألا تنظر الفتاة للرجل الذي تقدم لخطبتها وهو متزوج بأخرى أنه غير مناسب لها أو غير قادر على إسعادها.. فكثير من الفتيات لا يقبلن بالرجل المتزوج، ثم يضيع العمر ولا يأتي من يتزوجها.. فالدين الإسلامي الحنيف والسنة النبوية أجازا للرجل المسلم التعدد في الزواج إلى أربع من النساء في ذمة الرجل، وبشرط أن يكون الرجل عادلاً بين زوجاته.

ويذكر الدكتور يوسف القرضاوي أنه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الناس يشكون لا من عنوسة الإناث ولا من عزوبة الشباب، لأن الزواج كان سهلاً وميسرًا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول "أقلهن مهرًا أكثرهن بركة" ولم يكن يعسرون في هذه الأمور، فالنبي عليه الصلاة والسلام زوّج سيدة نساء العالمين فاطمة رضي الله عنها لعلي بن أبي طالب

بمهر عبارة عن درع اسمه "الحطمية" فالمرأة ماذا تفعل بالدرع ولكنه أشبه بشيء رمزي. فهل تبيعه! أم تتزين به! كانت الأمور ميسرة والإنسان كان يعرض أحيانًا ابنته لمن يتزوجها.. فسيدنا عمر عرض على سيدنا أبي بكر حينما أصبحت حفصة بغير زوج فقال له: هل لك في حفصة ابنتي؟ أي هل تتزوجها؟ فلم يرد عليه.. ثم ذهب إلى عثمان وسأله: هل لك في حفصة؟ فلم يرد عليه. فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله عرضت حفصة على كل من أبي بكر وعثمان فلم يردا علي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يزوج الله حفصة خيرًا من عثمان ويزوج الله عثمان خيرًا من حفصة».

وفعلاً تزوج عثمان ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الأمر سهلاً وكان أناس لا يعسرون.

الآن نحن عندما نريد أن نتزوج اخترع الناس هدية أو شيئًا اسمه الشبكة ثم حفل خطوبة ثم حفل عقد زواج وحفل زواج، ويا ليته مثل السابق، كان الشخص يذبح خروفين ويُدعى الناس.

أما الآن فصارت حفلات الزواج تقام في الشيراتون أو الهيلتون أو الفنادق الأخرى، وتتكلف أضعاف مضاعفة، بالإضافة إلى الهدايا في فترة ما قبل الزفاف والولائم والأثاث، تأثيث البيوت والمفاخرة والرياء الاجتماعي، كل واحد يحب أن يتباهى أمام الآخرين ويكلف نفسه ما لا يقدر عليه، لماذا كل هذا؟ المفروض كما يقولون "على قدر لحافك مد

رجليك" ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الإسراء] .

إنما الشخص يريد أن يفاخر ويباهي ويشتري من الأثاث ما لا يستطيع، فكل هذه التكاليف تعرقل الزواج وتعوق خطواته، أما في عصر النبي عليه الصلاة والسلام فكان الأمر سهلاً وما كانوا ينظرون إلا إلى دين الشخص وخلقه "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"(رواه الترمذي).

وبالنسبة للمرأة أيضًا.. عَنِ أَبِي هُريرة رضيَ اللهُ تَعَالَى عَنْـهُ عَـنِ النبيِّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّم قـال: "تُـنْكَحُ المَـرْأَةُ لأَرْبَـع: لمالهـا ولِحَسَبها ولِجَمَالها وَلدينها: فَاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَربَتْ يَدَاكَ"(مُتَفَقٌ عَلَيْه).

لقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أن نهتم ونركز على الدين والخلق سواءً بالنسبة للمرأة أو بالنسبة لمن يريد أن يخطبها ويتزوجها، وكانوا يقولون إذا زوّجت ابنتك فزوجها ذا الدين فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها. ويقول الإمام الشعبي وهو من أئمة التابعين: من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها.

فالحياة كانت فطرية والأمور سهلة، ولذلك لم تكن العنوسة مشكلة ولا العزوبة مشكلة في هذا المجتمع المسلم.

* * *

من واقع الحياة

وصلتني رسالة تقول: أحببت شابًا ملتزمًا في صمت، وكانت سعادتي غامرة حين فاتحتني أخته في رغبته في الزواج بي، وما أن تقدم لأمي حتى رفضته لأنه ليس من عائلتنا ولون بشرته أسمر..

إنني أتعذب، امتنعت عن الطعام والشراب، ولم يعرني أحد اهتمامًا سواه وأخته.. ماذا أفعل حيث إن أمي تحبك وتشاهدك؟ فأرجوا سرعة إنقاذي.

وأقول: كفي عن هذا الهراء والطيش، استعيدي عافيتك فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وعليك إقناعها بالعقل والمنطق، فهذه قضيتك فدافعي عنها..

أما الاستضعاف فليس من طبيعة المؤمنة، وإياك والتهور الذي لا فائدة منه، فما رسخ من عادات داعية للتفاخر بالنسب والحسب لن تمحوها لحظة. ولكنني أقول لوالدتك الفاضلة، والتي أدرك قدر حرصها عليك: يا سيدتي إن كان الشاب كفئًا لها فإمكانية نجاح البيت مضمونة وخاصة إن كانت المشاعر بينهما طيبة، ولا تنسي حديث رسول الله صلى الله عليه

وسلم: **"إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلـوه تكن فتنـة في الأرض وفساد كبير"**(رواه الترمذي).

ودينا الحنيف يدعونا إلى النظر إلى الجوهر لا إلى المظهـر، وأن الفـضل للأتقى، وكلنا يعلم منزلة بلال بن أبي ربـاح عنـد الحبيـب صـلى الله عليـه وسلم.

* * *

الإنفاق يثير المشكلات

الإنفاق يثير المشكلات

وكثيرًا ما تثار المشكلات بسبب الإنفاق، ومن ذلك ما وصلني من سيدة تقول:

زوجي بخيل جدًا مما يضطرني أحيانًا لشراء بعض الاحتياجات للمنزل دون علمه وأحيانًا لا أصارحه بالثمن الحقيقي منعًا للمنازعات المستمرة، فما حكم الشرع في ذلك؟

أقول لكل بخيل حسبه أن يعيش في الدنيا محرومًا بيده عقابًا له في حياته ويموت ميتة الأغنياء ففي دقائق ينتقل كل ما جمع إلى من أحب ومن لا يحب، ولو لم يسارع في احتواء أهل بيته ويغدق عليهم من رزق الله الذي يحفظه ويسعدهم بما يُغني ذكرياتهم عن عُقد الحرمان لتمنوا وفاته للأسف.

أما ما يتعلق بإنفاق الزوجة بترتيب أمورها بالزيادة في مصرف للإنفاق على آخر أو بالأخذ منه على وجه الخفية فيحكمنا في هذا الأخذ أو التدليس الاحتياج والضرورة التي عبر عنها الحديث الشريف بكلمة «المعروف» والذي جاء بنصه لمن أخبرت الرسول صلى الله عليه وسلم أن زوجها شحيح.. فعن عائشة "أن هندًا قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف". (رواه الجماعة إلا الترمذي).

أخرى تقول: زوجي مقتدر إلا أنه لا ينفق على أولاده، ويدعي أنه خسر أمواله في التجارة علمًا بأنه متزوج بأخرى، وسافر معها وتركنا وحدنا، فهل كوني أتقاضى راتبًا معقولاً يعطيه المبرر الكافي بأن يترك النفقة علينا؟

وأقول لها: يا بنيتي.. النفقة واجبة على الأب وحده حسب مفهوم تخصيص النفقة المذكور في الآية الكريمة ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٣] وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق:٦].

أما يا بنيتي إن ثبت إعسار الزوج فعلي الأم النفقة وما تنفقه يعتبر دينًا في رقبة الزوج، عليه رده حين يساره، وإن كان يتعلل فعليك أن تدفعي الأمر للقضاء.

أخرى تقول: لا أنكر أن زوجي كان كريمًا جدًا معي في بداية حياتي الزوجية، فقد كان موسرًا وللأسف تعرض لهزه شديدة في السوق ويحتاج الآن مبلغًا كبيرًا ليقف على قدميه من جديد، إنه يشير بطرف خفي إلى ميراثي وأخي يرفض.

فهل أعطيه وأضرب بكلام أخي عرض الحائط أم أرفض بحجة أن شركائي في الميراث يرفضون؟

وأنا أقول لها: يا بنيتي اعلمي أن الوقوف بجوار الشريك في الملمات والحفاظ على مشاعره إذا أعسر ولو بإعطائه من مالها أمر مطلوب.

وفي ذلك يقول أكثر الفقهاء (إن الرجل إذا أعسر وكانت زوجته غنية وجب عليها أن تنفق عليه وذلك عملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ردًا على زينب الثقفية عندما سألته عن مدى جواز إعطاء الزواج لمعسر من مال الصدقة «لك أجران أجر لقرابة وأجر لصدقة» ففي بجوار زوجك، وإياك أن تخذليه..

* * *

مفاهيم مغلوطة

مفاهيم مغلوطة

اشتكت لي إحدى الزوجات بقولها: زوجي رجل متدين، إلا أنه يتركني وأولاده دون نفقة ولا يعمل بدعوى أن الله سيرزق.

إن الحل يا بنيتي أن تنشط المؤسسات الدينية المعترف بها للقيام بدورها في توعية الناس بمفهوم الدين الصحيح، ومعنى العبادة الحق.

فكيف بالله نقيم الدين ونحن لا نعبأ بتعاليمه؟!

أين معنى القوامة والمقصود في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤] ؟!

وقوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٣].

وقوله: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق:٧] .

وأين توظيف الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته"

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعًا: "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله". (رواه مسلم والترمذي).

أين مفهوم الأذان ومغزاه حي على الصلاة حي على الفلاح؟!

إن جهاده الحقيقي في السعي وراء الرزق، في تربيه أولاده، أي جهاد هذا؟ إنه قول منقوص، وتواكل تأباه الفطرة السوية وقد أمرنا الحق بالأخذ بالأسباب لأن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

واأسفاه على أمة تتآكل من داخلها وبيد أبنائها.

بينما أخرى لا يتجاوز عدد ملايينها أصابع اليد الواحدة جعلت العقيدة دافعًا للازدهار والتقدم والريادة أذكر حديث عمر بن الخطاب: والله لو جاءت الأعاجم بالأفعال وجئنا نحن بالأقوال فهم أولى بمحمد منا..

احزمي أمرك مع هذا الرجل المريض نفسيًا، وليكن لوالدك وقفة معه فإن استمر على فهمه المغلوط فلابد أن يكون لك معه موقف حازم.

* * *

وأخرى تقول: تتوقف براءة زوجي المحبوس حاليًا على ذمة قضية اغتصاب خادمتنا على شهادتي كذبًا لصالحه، فماذا أفعل وأنا أم لطفلين؟

أقول: إياك وخداع النفس تحت أي مسمى، إياك وشهادة الزور مهما عظم الأمر، وعليك تبرئة ذمتك بشهادة حق، وضعي في اعتبارك لو أن هذه الفتاة المقهورة هي ابنتك أكان يرضيك أن يضيع حقها بشهادة زور، ولأن زوجك هذا قد ارتكب جُرمًا فاحشًا في حقك أنت أيضًا فهو لا يؤتمن على الأعراض، ومَن هذا شأنه فلن تسلم منه قرابته القريبة أو البعيدة فكان لزامًا أن ينال الجزاء المناسب ليكون رادعًا له، واعلمي أن الله لن يضيعك.

مشكلة

ومما وصلني بهذا الشأن: زوجي مؤدٍ لفروض الصلاة في أوقاتها ولكنه يشرب الخمر في بعض الأوقات، وأنا أنهاه عن ذلك ولكن دون جدوى، ويقول لي إن أداءه للصلاة والتزامه بها في أوقاتها يغفر له أي ذنب، فما حكم ذلك؟

يا بنيتي هذا أمر مؤسف حقًا، فالصلاة كما شرعها الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

والخمر من أكبر المنكرات، لما فيها من إضرار بالعقل والصحة والمال والشخصية، فضلًا عن أثرها على الأسرة والمجتمع، فإذا أفاق وغسل أثر الخمر، وتوضأ وصلى، فالمرجو إن شاء الله أن تكون صلاته في ذاتها مقبولة، وأن صلاته ستنهاه يومًا عن مثل هذا المنكر، وسيرتدع عن مثل هذا الأمر.

هذه فريضة يؤديها وهي الصلاة، وتلك جريمة يرتكبها وهي شرب الخمر. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧]. الصلوات مكتوبة له، وشرب الخمر – أم الخبائث– مكتوب عليه. فلا تقولي له: مادمت تشرب الخمر فاترك الصلاة، لأن الذي يصلي مأمول فيه إن شاء الله أن يرتدع ويمتنع عن أم الخبائث.

وإذا فرقنا بين رجل يشرب الخمر ولا يصلي، ورجل يشرب الخمر ويصلي لقلنا إن الذي يشرب ويصلي أفضل على كل حال وأقل سوءًا من الآخر... لأنه مرجو له الخير.

* * *

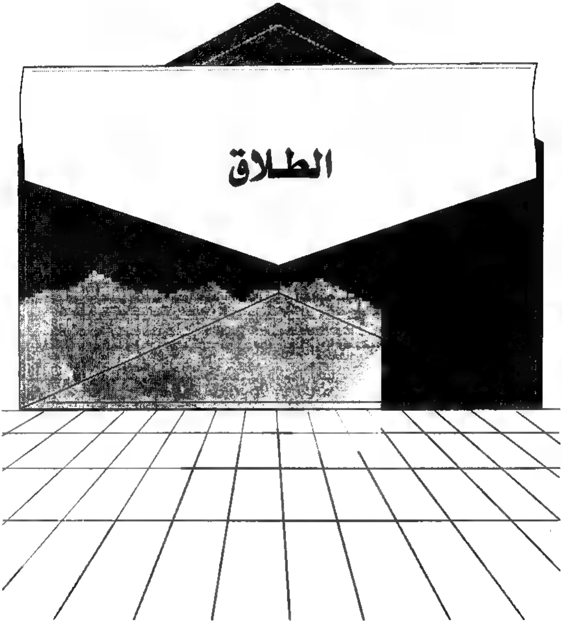

الطلاق

الطلاق

مشكلة

سيدة تقول: أنا في التاسعة والأربعين من عمري، طلقت بعد ٢٥ سنة، لأنني لم أنجب للأسف، ليس لي مصدر رزق سوى مرتب هزيل من مؤسسة خاصة لتربية أيتام، ولي إخوة يسدون عين الشمس، مهمتهم إفساد أي شيء يسعدني، وكأن المطلقة حتى لو صارت كهلة لابد من فرض الوصايا عليها.

لقد ضقت بهم لدرجة أنني أتحايل للمبيت بالمؤسسة، وأسعد كثيرًا باحتواء هؤلاء المساكين وكأن كلاً منا يلاقي نفسه، إلى أن التقيت برجل صالح عمره حوالي ٦٣ سنة له مركز مرموق في المؤسسة، ويبدو أنني أعجبته رغم اتشاحي بالسواد، إلا أنه تقدم للزواج بي.

أنا لأول مرة بعد الطلاق أشعر بفرحة، كأني بنت عشرين سنة أولًا لأنني فعلًا بلا مأوى، والرجل عنده بيت مجهز بالكامل، وأولاده تزوجوا وكلهم تقريبًا موافقين لأنهم يريدون من يخدم أباهم بعدما أنهي مهمته معهم.

المهم فإن إخوتي غير موافقين بحجة أنني كبرت وسأثير سخرية الناس منا.. فماذا أفعل؟ هل أتزوج هذا الرجل الذي أرتاح له، وقد يقاطعني

إخوتي لذلك، أم أتريث ربما أحتاجهم فقد علمت أنه لا حق لي في معاشه لا قدر الله؟ دبريني ماذا أفعل؟

واقول للسائلة: يا عزيزتي أشعر بالأسى مع كل كلمة في خطابك.. ولا أقول لك سوى هوني عليك فقد تعسف هذا الزوج الجاحد وسيحاسب على ذلك، وهنا أدعو إلى حل إيجابي لما يشبه حالتك يؤمّن لكِ حياة كريمة وليكن باستحقاق المطلقة بعد عشرين عامًا الحق في مسكن الزوجية أو في معاش ثابت من بنك الأسرة.

أما عن موقف إخوتك فكان الأولى أن يقوموا بدورهم الرعائي، وأن يضمدوا جراحك.

ولو عدنا إلى شريعتنا المحكمة لوجدنا تأكيدًا على الصلة الرحمية في العديد من النصوص سواءً في القرآن الكريم أو السنة النبوية.. ومنها قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد].

وأخرج الحاكم وصححه عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله"**

ولعظيم حقها أقسم بها في قرآن يتلى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء:١].

ومن الأحاديث التي أتأثر بها كثيرًا "صنائع المعروف تقي مصارع السوء والهلكات والآفات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة" (رواه الحاكم)

ولا أجد حرجًا من زواجك بهذا الرجل الطيب، ولو عدنا للرسول الكريم لوجدناه لم يترك سيدة طُلقت أو توفي عنها زوجها في أي سن إلا وزوجها إعفافًا لها ورعاية.

أنت ثيب رشيدة لك الحق في العقد لنفسك مادام كفئًا، وإن كنت أود أن تعاودي الاتصال بهم، أنت والرجل الطيب حتى يعينك على طاعة الله في أهلك.

أما حكاية المعاش الحقيقية فلا أجد لها تفسيرًا، فهل قانون المعاشات يقف في وجه زوجة خدمت زوجها في فترة ربما تكون حرجة لمجرد أنها تزوجت بعد سن الأربعين، والأولى مساعدتها على أن تحيا حياة كريمة؟!

أرجو مراجعة هذه القوانين المجحفة التي تفوت المصلحة على الجميع..

لكن تزوجي على بركة الله.. ولا تتركي عملك.

مشكلة

وتقول أخرى: كانت ظروفنا الاجتماعية رائعة جدًا وكان الأولاد في أرقى مدارس مصر وأغلى النوادي، أنا من أسرة موسرة جدًا والحمد لله دخلي كبير، لكن لم أنفق مليمًا واحدًا منه فوالدي يضع أرباحي في البنك بيده.

وفجاة تغير الحال وأغلقت المؤسسة التي كان يديرها وأنفق مدخراته خلال ثلاثة أعوام وأصبح الآن لا يملك بنزين سيارة.

لقد أصبح شديد العصبية يتغيب عن البيت طوال النهار بل يبيت في المساجد، ووالدي يطلب مني الانفصال والانتقال للإقامة معه إن أردت وأن ينفق علي، فهل يحق لي طلب الطلاق؟

وردي أن الشرع قد كفل لك هذا الحق يا سيدتي، وإليك أقوال فقهاء الحنفية على أن لا يجوز التفريق بإعسار الزوج، لكن الجمهور يجيزون لأن عدم التفريق مخالف للمعاشرة بالمعروف، لكنهم اختلفوا في نوع التفريق فالشافعية والحنابلة على أنه فسخ، والمالكية على أنه طلاق رجعي لكن لا تجوز الرجعة إلا إذا زال الإعسار.

وفي المادة الرابعة من قانون ٢٥ لسنة ٢٩ إذا امتنع الزوج عن الإنفاق فإن كان له مال ظاهر تصرف منه القاضي وأنفق عليها وإن كان له وأخفاه يطلق القاضي طلقة رجعية.

لكن أقول لسيدتي إن حق هذا الرجل الذي لم يـدخر وسـعًا أن تقفـي بجواره.

إن دفء البيت ووجود عائلة بأموال الدنيا وخاصة وبينكما أبنـاء هـو عليهم قوام وموجه ومعلم ومدرس وسائق ومسئول عن إدارة معايـشهم، ولو كنت بمفردك لاحتجت عددًا لا يحصى ليقوم بكل هذه المهام.

ثم إن الطلاق مع يسارك عيب في حقك فأين الفضل وقد أمرنا الحـق ألا ننسى الفضل ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة:٢٣٧].

أين المودة والرحمة؟

إن والدك قـد جانبـه الـصواب عنـدما أراد طلاقـك وحرمانـك مـن زوجك وحرمان الأبناء من أبيهم ولن ينسى الأبناء لك أنك هدمت البيت وأخرجت والدهم إلى العراء يبيت محزونًا مشغول البال أنه في كرب وبلاء، فلا تجمعي عليه الجحود والنكران، أنفقي فالمال لأولادك من بعد.

* * *

مشكلة

ويتساءل البعض: هل في الإسلام بعـض الإجـراءات التي تمنع الطلاق أو تحجمه؟

نعم، إن الشرع وضع الإجراءات التي تمنع وتقلل من إيقاع الطلاق ذلك أن الإسلام يحفظ الأسرة من عبث العابثين..

وقد توالت الوصايا التي تحث على الزواج وتكوين الأسرة، فهل يهدم ما بني على مراحل بكلمة؟!

لقد كره هدم بنائها بالنزاع والشقاق وما يؤدي إلى الطلاق، وقد وضع عدة عوائق وعراقيل تحول دون التورط فيه:

١- نبه إلى أن للحياة الزوجية قدسية لابد من احترامها، وقد وصفها القرآن بالميثاق الغليظ الذي ينبغي احترامه.

٢- بغّض في الطلاق.

٣- جعل الإسلام الطلاق إذا دعت إليه حاجة أو ضرورة على مراحل بمثابة التجربة، فلم يحكم بالبينونة بهدم الحياة الزوجية مرة واحدة بل جعله على ثلاث فترات يملك بعد كل من الأولى والثانية حق الرجعة بدون عقد.

٤- حتى عندما يكره الرجل زوجته ندب الإسلام إلى إمهال المرأة وعدم تطليقها ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء].

٥- أمر الإسلام الزوج بضبط الأعصاب والتحمل والتريث حتى لا يقدم على طلاق الزوجة إن حدث أي شيء وجعل معالجة الشقاق على مراحل ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء:٣٤].

٧- حث إلى اللجوء إلى حكمين إن لم يستطيعا التصالح ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا ﴾ [النساء:٣٥] .

٨- لم يحكم بطلاق المجنون، ولم يحكم بطلاق المكره.

٩- لم يحكم بطلاق الإغلاق ولا بطلاق بحديث النفس.

١٠- فرض للمطلقة على الزوج أعباء مالية تجعله يفكر ألف مرة كمؤخر الصداق ونفقة العدة وحضانة الأولاد والمتعة.

١١- شرع الاسلام الإشهاد على الطلاق حتى يكون باعثًا على عدم وقوع الطلاق.

وممن قال بذلك الإمام جعفر الصادق من الشيعة الإمامية الذين جعلوا الإشهاد أحد أركان الطلاق.

* * *

مشكلة

ومن أمثلة الطلاق التي تتكرر كثيرًا ما عبرت عنه تلك الرسالة: زوجي دائم الشجار مع أولادي بسبب وبدون سبب، ولابد أن يقحمني في أي خلاف بحجة أنني لم أحسن تربيتهم..

أخيرًا فاض بي الكيل وقلت له عندما تأخر ولده: أنت أيضًا شريكي في تربيتهم، يكفي ذلك، فإذا به يحلف علي بالطلاق عدة مرات ثم جاء معتذرًا متعللاً بأنه لم يكن في وعيه..

سيدتي دبريني في أمري.. هل أنا حقًا مطلقة الآن أم لا؟ وإن وقع الطلاق فهل يقع مرة واحدة أم ثلاثًا؟

وأقول: بالطبع يا سيدتي زوجك شريك لك في المسئولية وتربية الأبناء، وعلى كل رجل أن يدرك دوره في إعداد بناة الغد.

أما مسألة الطلاق في حال الغضب فهذه تحتاج إلى دليل وإلى يقين ولابد أن يتحمل الرجل مسئولية ما يقول لحديث **"لا طلاق في إغلاق"** (رواه أبو داود والحاكم وصحح إسناده على شرط مسلم)..

والإغلاق يفسر هنا «بالإكراه» كما يفسر أيضًا بالغضب الشديد، الذي يفقد الرجل السيطرة على نفسه فيقول ما لم يكن يريد.

وعلى هذا يجب أن يُسأل زوجك عن حالته حينئذٍ وعن نيته أيضًا هـذا ولا يقع الطلاق إلا مرة واحدة حتى لو أقسم ألـف طـلاق.. ويفـضل أن تذهبا معًا إلى دار الإفتاء ليخبر بنفسه عن حاله.

* * *

مشكلة

اخرى تسال: زوجي محجور عليـه لحـق الغرمـاء وهـو متأزم جدًا وملازم البيت، وفوجئت به بدون أي سبب يقول إن لم تخرجي من البيت فأنت طالق.

بالطبع خرجت من البيت ومعي طفلاي، والآن يلح على في العودة إذ إن من الناس من أفتى له بعدم وقوع اليمين للسفه.

ورايي كالتالي:

أولًا: الناس لا تفتي وإنما الفتوى من العلماء والمتخصصين.

ثانيًا: من قال إن السفيه لا يقع طلاقه؟

إن الحجر لسفهه في الإنفاق وضياع ماله. أما الطلاق والزواج فهو أمر آخر، والحـديث الـشريف "**إنـما الطـلاق لمـن أخـذ بالـساق وهـو مـدرك لأحواله**" . فهذه مقولة خاطئة لأن السفه خفة تعتري الإنسان أو هو عـدم القدرة على الترشيد، لكن في حالتك أنت الطلاق لا يقع لأنه يمـين معلـق

على شيء، والمعلق لا يقع لأن المقصود منه الحث على فعل شيء أو ترك شيء.

* * *

مشكلة **واخرى تسال قائلة:** آسفة أن أقول إن زوجي قد ناهز الستين من عمره، وفوجئت أنه على علاقة بسيدة عرفت بسلوكها المنحرف..

إن أبنائي شباب تخرج أحدهم ويعمل في مجال حساس، والباقون في مراحل التعليم الجامعي، نحن في حي شعبي أصبح الأولاد يعانون من نظرات الناس، وخاصة بعدما امتنع عن الصلاة في المسجد وبالطبع الأولاد الذين كانوا يعتبرون والدهم قدوة تغير حالهم..

أنا لا أدري ماذا أفعل هل أطلب الطلاق؟ ولكن أخشى على الأولاد أنهم يعذبون أمامي وقلبي لا يطاوعني أن أتحدث معهم عن قدوتهم بل أكذّب دائمًا ما يقال، وكرامتي تمنعني من محادثته في هذا الأمر لأنه لا يستحق بعد طول خدمتي وإخلاصي.. أكاد أجن، دبريني ماذا أفعل؟

وأقول لهذا الزوج الذي يعيش مرحلة المراهقة المتأخرة سأضع بين عينيك ما غيبته قصدًا أو عن غير قصد من آيات الله..

إن الزواج ميثاق غليظ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء] لقد خنت العهد مع الله ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١] وكان الأجدر بك إن كانت لك أسبابك أن تتحدث معها وتصارحها، وأعتقد بينكم عشرة طويلة تسمح برفع كل حرج.

فربما أصلحت من شأنها، كان ممكنًا أن تتزوج على سنة الله ورسوله إن أعوزتك الحيل وفاض بك الكيل، أما أن تضع نفسك في هذا الطريق الوعر فذلك مرفوض، ربما لم تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء] ، وربما لم تقرأ قوله تعالى عندما جعل الزنا قرين الشرك ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان] ، ربما لم تقرأ "ما من ذنب أعظم عن الله بعد الشرك من نطفة يضعها الرجل فيمن لا تحل له ، ربما لم تقرأ "اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة، في الدنيا ذهاب بهاء الوجه، وقصر العمر، ودوام الفقر، وفي الآخرة سخط الله، وسوء الحساب، وعذاب النار"

إن الزنا من الكبائر لهذا يورث صاحبه العلل، ويحرم الرزق، إن العبد يُحرم الرزق بالذنب يصيبه.

فالعقوبة من جنس العمل، ليست في يد الزوجة ولا المجتمع وإنما تنبت في داخلك.

لقد نسيت يا أخي في غمرة المراهقة أن لك أبناء أنت قدوتهم العملية، تلك التي تلاشت عندما تركت المسجد وتقاعست عن الصلاة.

لقد أضعت مؤشر الضبط والتشغيل في كيانك ووقتك، وصدق فيك قول الحق ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم]، فبفقدك صمام الأمن ألا وهو الصلاة غيبت عنك وعن أبنائك طريق الهداية، فقل آمنت بالله ثم استقم.. ذلك الذكر الذي يكرر كل يوم مرات ومرات ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[الفاتحة].

عد يا أخي إلى الصواب فالصحة موقوتة، والعافية موقوتة، والأيام كذلك.

* * *

وجاءتني من تسأل: قال لي زوجي: أنت عليّ حرام فخرجت من بيتي حتى أتدبر أمري.

وأقول: يا سيدتي لقد تعجلتِ.. جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس "**إذا حرّم الرجل امرأته فهو يمين يكفرها**" ثم إن لنا في رسول الله

خير أسوة عندما حرّم إحدى زوجاته فنزل فيه وحي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[التحريم:١] .

لقد بين القرآن الكريم الحل ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾[التحريم:٢].

هذا وقد أثر في هذا القول أكثر من عشرين قولاً لأنهم اختلفوا حول كونه لغوًا أو ظهارًا أو طلاقًا أو يمينًا فعودي إلى بيتك وعليه كفارة يمين.

* * *

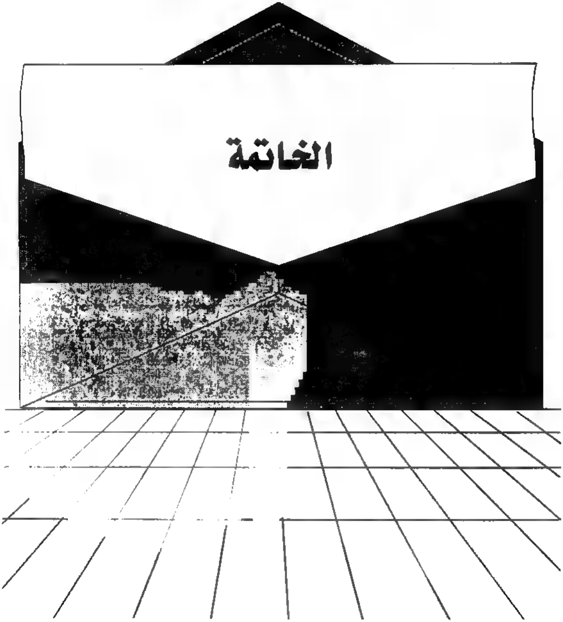

الخاتمة

الخاتمة

وبعد هذا التطواف مع المرأة سواءً كانت المرأة أمًا أو زوجة أو ابنة أو في أي مكان ينتمي لأمة الإسلام فإن من الواجب أن نشير أن قضايا المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية لا حصر لها، وهي بحاجة إلى تكاتف المخلصين لإيجاد السبيل لحلها، ولكن ذلك لن يكون إلا بعد أن يعي المجتمع قيمة هذا الكيان الذي ميزه الله تبارك وتعالى، وجعل في صلاحه صلاحًا للمجتمع بأسره، ثم بأن تعي المرأة دورها وتدرك رسالتها في هذه الحياة، وحينها ستُحل ليس مشاكل المرأة وحدها بل الكثير من مشاكل مجتمعاتنا.

* * *

الفهرس

الفهرس

الموضوع الصفحة

مقدمة 5

رسالة إلى عزيزتي الأم 7

رسالة إلى المرأة العاملة 17

بنيتي.. بكِ ربحت الجائزة 25

بنيتي.. تمهلي 33

الولد أمانة (كما تدين تدان) 43

أبنائي والتركة المثقلة 55

حقوق الأبناء 61

النساء شقائق الرجال 77

العلاقات الأسرية الحميمة 87

الموضوع	الصفحة
عندما ينشز الرجل وعندما تكره المرأة	99
لماذا هجرت السعادة عش الزوجية؟	109
نساؤنا في قبضة الأسر	123
وا إسلاماه!	131
صورة المرأة في وسائل الإعلام	135
المرأة بين الأمية والإهمال	145
الحرمان من الأبناء	153
مسافر بلا رفيق	157
الخطبة في الإسلام	165
الإسلام والعنوسة	169
الإنفاق يثير المشكلات	179
مفاهيم مغلوطة	183

الموضوع	الصفحة
الطلاق	187
الخاتمة	201
الفهرس	203

* * *

My Heart is With You

هذا الكتاب

لقد خلقَ اللهُ تعالى المـرأة وكـرّمهـا أعظـم تكريـم فجعلها الإسلام شقيقة الرجل، وهي خير عـون وسنـد بل كما يقال هي صانعة الرجال..
و أنا قلبي مع المرأة في كل حال..
قلبي مع المرأة كأم وهي الصابـرة المحتسبـة..
و قلبي معها كـزوجـة وهـي الحـافظـة لمال زوجها و عرضه وولـده..
و قلبـي معهـا وهي الابنـة التـي قد تـتيـه في دروب الحياة و لكن سرعـانَ ما تـعـود إلى واحــة الإيمـان..
و قلبـي مـع المـرأة الأرملـة التـي عـانـت مـرارة فـقـد شريـك حياتهـا..
و قلبـي معهـا وهي الأسيـرة أو المعذبـة أو المطـارَدة
و قلبـي يـئن لما تتعرض لـه من العـذاب.
و هـذا الكتـاب هـو نـتـاج تجـارب وخبـرات وشكـاوى و ابتلاءات وردتني من أخواتي وحبيباتي يسألن النصيحة و يردن المخرج لما حلَّ بهن.

النـاشـر

7 ش عبد العزيز - العتبة - القاهرة ج.م.ع
تليفون : 00202 2 39 59 408
002 010 573 80 30
فاكس : 00202 2 39 59 408
www.bedaiasound.com
mail:bedaiasound@hotmail.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة في مصر والعالم

بداية للإنتاج الإعلامي
بدايـة للانتـاج الإعـلامي
احمد خليل - محمود خليل

برعايـة